حياة

رواية

للكاتبة/ سحر محمد

المؤلف: سحر محمد

الناشر: دار نهر الكتب للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف: سحر محمد

الإخراج الفني: القسم الفني بدار نهر الكتب (لوجوتيلز)

المراجعة اللغوية: هبة ممدوح

رقم الإيداع:٢٠٢٠/٩٣٤٦م

الترقيم الدولي: ٧- ٢٣ -٦٧١٧-٩٧٧-٩٧٨

المدير العـــام: هالة رجـب

رئيس مجلس الإدارة: محمد محمد هيكل

جميع الحقوق محفوظة لدار نهر الكتب للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان.

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة الدار يعرض صاحبها للمساءلة القانونية، والآراء والمادة العلمية الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

جمهورية مصر العربية

موبايل:٠٠٢٠١٠٦٩٦٤٨٠٠٨ ــ ٠٠٢٠١٠٢٢٤٤٣٤٧٢

البريد الإلكتروني: nhrelkotob@gmail.com

مقدمـة

نَمُرُّ دائمًا بتجاربٍ عديدةٍ في حياتِنا، تجعلنا نتخذ قراراتٍ لم نتوقعْ يومًا إتخاذها. وما الدنيا إلا تجاربٌ عديدةٌ تمرُّ واحدةً تلو الأخرى؛ فكل تجربة تعلمنا درسًا يجب تعلّمه جيدًا، وخطأ لا يجب أن نكرره مرة أخرى. وأحيانًا نمرُّ بتجاربٍ تهدم أحلامَنا، ونظنُّ أنها نهايةَ الدنيا، فيأتي حلمٌ آخر أفضل بكثير مما نحلم به، فنعلم وقتها أنَّ هدمَ الحُلمِ الأولِ ما هو إلا طريقٌ لا بد منه لقدوم الحلم الثاني والأفضل لنا.

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرفِ المرسلين، سيد الخلق، سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- صلوا عليه وسلموا تسليمًا، وبعد...

حياة

الفصل الأول

اسمي حياة، ذات الخمسة والعشرين ربيعًا، طبيبة أطفال. منذ صغري وأنا أتمنى أن أصبح طبيبةَ أطفالٍ مشهورة أو ليس مشهورة، بل يكفي أن أكون متميزةً في مجالي، ومحبوبةً من الأطفال مثلما أنا أحبهم وبشدة. وأتمنى أن لا أرى أيَّ طفلٍ بالعالم يتألم فيتألم قلبي له. أشعرُ معهم وكأنني طفلة مثلهم ولستُ الطبيبة الخاصة بهم، أفهم لغتهم، وأعرف مدلول إشارتهم، نتعامل معًا وكأننا شخصًا واحدًا؛ فيفهم كلًا منا الآخر.

بالفعل استطعتُ تحقيقَ حلمي، والتحقتُ بكليةِ الطبِّ البشري، وبدأت عملي، وتخصصت في معالجة الأطفال. تعلمون كم هو شعورٌ ممتعٌ حين تلمس حلمك بين يديك، ويتحول من كونه حُلمًا إلى حقيقة تراها وتعيشها، خاصة إذا كان هذا حلمك الوحيد الذي بذلت مجهودًا جبَّارًا طوال حياتك لتحقيقه!

فالحمد لله على شعور النجاح بعد التعب الطويل؛ فمن لا يتعب، لا يستطيع تذوق الشعور الحقيقي بالنجاح.

لا أستطيعُ وصفَ سعادتي وشعوري عند معالجة أولِ طفل بحياتي في أول يوم عمل بالمستشفى الحكومي، عندما أخبرتني والدته في اليوم التالي أنه أصبح على ما يرام وبحالٍ أفضل مما كان عليه، بعدما تناول الدواء الذي أعطيته إياه. في هذه اللحظة كانت تغمرني السعادة وبشدة؛ لأنني كنت سببًا في أن أمحو الألم عن ذلك الطفل البريء الجميل.

وأصابتني السعادة أكثر وأكثر عندما رأيتُ الحبَّ في عيون ذلك الطفل البريء، أحب هذا حبًا جمًا؛ لأنه حبٌ صادقٌ ونابعٌ من القلب. ليت الجميع يحبون كما يُحِب الأطفال حبًا صافيًا نقيًا، لا خداع فيه ولا نفاق. في ذلك الوقت لن يكون هناك مكانٌ للحبِّ الزائف، ولا مكانٌ للخداع والشر، فقط يملأ حياتَنا الحبُّ الحقيقي الصادق.

هذا حُلمي الذي كنت دومًا أسعى لتحقيقِه، طبيبةُ أطفالٍ متميزةٌ ومحبوبةٌ من الأطفال، فالحمد لله دائمًا وأبدًا. كنت في هذا الوقت أعمل في مستشفى حكوميّ، ولكن طموحي كان أكبرَ من ذلك بكثير، أردت أن يكون لي عيادتي الخاصة؛ لأساعد الأطفال أكثر وأكثر. كنت أحلم أن أخصصَ كشفًا مجانيًا لمن لا يستطيعُ دفعَ ثمنِ الكشف، الذي سيكون مبلغًا رمزيًا طمعًا في القليل من الربح، وإعطاء الرواتب لمن يعمل معي في عيادتي الصغيرة.

كنتُ أكره الزواجَ، ولا أريد أن أتزوج، وأرفض جميعَ الأشخاصِ الذين يتقدمون لخطبَتي. كان ذلك يزعج والديَّ بالطبع، ولكن هذه حياتي ويجب أن أعيشَها كيفما أريد. وأعلم أن ذلك الصبر الذي لدى والديَّ سوف ينفد في مرة ما؛ حيث كنت أرفض بدون سبب، أرفض، وأقول: «لا أريد الزواج في سنٍ مبكرٍ» ولكن هذا ليس السبب الحقيقي لرفضي..

كانوا يظنون أنَّ هذا السبب ليس مقنعًا، وأن هناك سببًا آخر أخفيه، وهذه الظنونُ كانت حقيقيةً، فكان هناك ما لا أبوح به لأحد.

قد يظن البعضُ أنني أحب شخصًا ما؛ لهذا أرفض الزواج بأي شخص آخر من أجل ذلك الحبيب الزائف الذي يوجد بمخيلتهم فقط، لكنني لم أحبّ طوال حياتي.

نعم، وصلت لسن الخامسة والعشرين دون أن أقع في الحب. لم أقابل شخصًا أشعر تجاهه بتلك المشاعر التي يسمونها الحب، تلك المشاعر التي لم أعِشها بعد، وربما يظن البعضُ الآخر أنني امرأة متمردة، تريد العيش بمفردها طوال حياتها وتكره الرجال. فلم يفهمني أحد أو يظن بي الظن الصحيح، فكان سبب رفضي للزواج؛ هو أنني لا أريد أن أنجبَ أطفالًا.

نعم، لا أريد إنجابَ أطفالٍ رغم حبي الشديد لهم وتعلقي بهم، فلا أريد إنجاب أطفال أبرياء، وأكون سببًا في قدومهم لتلك الحياة القاسية. فما ذنب هؤلاء الأبرياء حتى يعيشوا تلك الحياة! ما ذنبهم حتى يأتوا ليجدوا أنفسهم مع أبٍ قاسٍ أو أمٍ مهملَةٍ لا يرونهم إلا وهم يتشاجرون.

ما ذنب الأطفال حتى يجدوا أنفسهم في حالة اكتئاب ولا وجود للسعادة التي يسمعون عنها، يفتقدون الكثير والكثير من الشعور بالأمان والشعور بالدفء والحنان، فلم يجدوا أنفسهم إلا وهم يدخلون في حالة نفسية يصعب الخروج منها، لا أستطيع أن أسامح نفسي وقتها.

فقط أردت أن لا أكرر خطأ أبي وأمي عندما أنجبوني، فهما أيضًا لم يكررا ذلك الخطأ مرة أخرى وتركوني وحيدة بلا إخوة.

كان لدي الكثيرُ من الأصدقاء، ولكن كان جميعهم معارفَ سطحية، لم أجد ذلك الشخص الذي يستحق أن أطلق عليه لقبَ الصديقِ حقًا.

أعيشُ وسطَ الكثير من الأشخاص، ولكن شعور الوحدة كان لا يتركني أبدًا، بل يرافقني طوال حياتي. نعم، هم بجانبي الآن، ولكن عندما أحتاجهم لا أجدهم معي. اعتدت أن أساند نفسي بنفسي، ولا أنتظر المساعدة من أحد طوال حياتي، سواء

في ذلك القريب والبعيد. أتعلمون؟ أنا لا ألوم أمي حين تتشاجر معي في موضوع الزواج؛ لأنني أعلم أنها مثل كل الأمهات، تريد أن ترى ابنتها الوحيدة سعيدة في بيتها مع زوجها وأولادها، تريد الاطمئنان عليها وعلى حياتها المستقرة التي لا تراها مستقرة أبدًا بدون ذلك الزواج وهؤلاء الأولاد.

فالعمل ليس استقرارًا بالنسبة للأمهات، فهم لا يفكرون إلا بذلك الموضوع فقط ولا يستطيعون التفكير بأي شيء آخر حتى إتمام ذلك الموضوع، وعندما يتم؛ يدخلون حينها في التفكير بموضوع آخر، وهو: قدوم الأحفاد حتى لا ينقطع اسم العائلة من بعدهم.

ستظل سلسلة تلك المواضيع دائمة، لا تنقطع، لا تنتهي، ويدفع ثمنها الأبناء؛ فيعيشون طوال حياتهم يحاولون إرضاء تلك الأفكار والخضوع لها، وينسَون أنفسهم وينسَون ماذا يريدون.

إنها عاداتٌ وتقاليد جاهلة، لا تأتي إلا بدمار الأبناء، ويربون أبنائهم على نفس نمط هذا السلوك الجاهل لتتوارثه الأجيال جيلًا بعد جيلٍ، ويظل ذلك التفكير مسيطرًا على مجتمعنا للأبد. أتمني أن يأتي يوم زواله سريعًا.

كنت كلما يزداد سني، لا أرى الفرحة في عيون والديَّ؛ لأن ابنتهم تكبر أمامهم، بل أرى الحزن؛ لأن ابنتهم تكبر أمامهم بدون زواج! فذلك الموضوع يُفسد كلَّ شيء، وكأنه يفسد كل ما هو جميل أمُرُّ به؛ فيزداد كرهي له يومًا بعد يومٍ بسبب ذلك التفكير الرجعي. حقًا كم أرجو أن يأتي يومًا وينتهي فيه ذلك التفكير للأبد!

معظم جيرانِنا وأصدقائِنا ينظرون إليَّ بنظرة شفقة وعطف، بنظرة العنوسة، وهم مندهشون كيف وصلت لسن الخامسة والعشرين بدون زواج! فهذا أمرٌ غريب

بالنسبة لهم، فهم يزوجون بناتَهم في سنٍ مبكر؛ حتى لا ينظر أحد إليهم بتلك النظرات التي ينظرون إليَّ بها، يزوِّجونهم لأول طارقٍ على بابهم، لا يهتمون بتعليمه، ولا يهتمون بعائلته، فقط يهتمون بأن يُتِمُّوا الزواج سريعًا، يسيرون على نهج المثل الشعبي المعروف: (ضل راجل ولا ضل حيطة).

أتذكر في إحدى المرات الغريبة، عندما زارتنا صديقة أمي بعد غياب دام عشر سنوات؛ حيث تعمل مع زوجها خارج البلاد، ولم تأتِ زيارة إلى مصر أبدًا إلا هذه المرة، كنت حينها في عامي الرابع والعشرين وفي آخِر سنوات كلية الطب. أتذكر جيدًا حينما خرجت من غرفتي لأستقبل السيدة جمالات صديقة أمي وألقي عليها السلام، عندما رأتني تفاجأت بي قائلة:

ما شاء الله يا حبيبتي، بقيتي عروسة زي القمر.. وعروستنا كام سنة بقى؟

٢٤ يا طنط.

فتعجبت من إجابتي وقالت:

٢٤ ولسه من غير زواج!

أتجوز إزاي وأهمل دراستي يا طنط! أنا لسه بدرس آخِر سنة في كلية الطب، وأنا أصلا مش بفكر في الجواز دلوقتي، لما أخلص دراستي الأول وأحدد مستقبلي إن شاء الله، وبعد كدا ممكن أفكر في الجواز.

ازداد تعجُّبها من كلامي أكثر وقالت:

دا أنا بنتي أصغر منك بسنتين ومعاها ولد وبنت.

ما شاء الله، ربنا يحميهم لها. قولي لي يا طنط، بنت حضرتك درست في جامعة إيه صحيح؟ صمتت قليلًا ثم قالت بنبرة صوت منخفضة:

معاها ثانوية عامة بس.

علشان كدا اتجوزت بدري!

أيوة طبعًا،علشان الجواز أهم من الدراسة.

غضبتُ كثيرًا مِن جملتها الأخيرة! هل ما زال هناك أحد يفكر بهذه الطريقة حتى يومنا هذا!

مين قال كدا يا طنط! الدراسة أهم من أي شيء في الحياة. مش هقول علشان تبني مستقبلها أو كيانها، مع إن دا شيء مهم جدًا، بس لو لا قدر الله حصل انفصال بينها وبين جوزها، أو لو توفاه الله لا قدر الله يعني، هتتصرف هي إزاي ساعتها؟ لو معاها شهادة هتقدر تلاقي شغل كويس في وقت قصير، أما لو العكس مش هتقدر تلاقي حاجة كويسة، وهتتعب أوي. دا غير إن العلم بينور العقل جدًا وبيزود الثقافة والفَهم والوعي، وكمان بيعرفك تتعاملي إزاي مع الناس، وإزاي تحققي ذاتك وحاجات كتير أوي لا تُعد ولا تُحصى يعني. أنا متأكدة لو بنت حضرتك دلوقتي قدامها تختار بين الجواز وبين إنها تكمل دراستها هتختار تكمل دراستها، وأنا واثقة من كلامي جدًا، ممكن حضرتك تجربي وتسأليها.

معاكِ حق، هي فعلًا ندمت إنها وقَّفت دراسة، وبتتمني يرجع بيها الزمن، بس أهو دا نصيبها.

كانت أمي تنظر إليَّ في غضب من انفعالي بالكلام مع صديقتها، فأنهيتُ ذلك الحوار وقلت:

الحمد لله، على أيِّ حالٍ سعيدة برؤيتك.

وتمنيتُ لابنتها السعادة في حياتها والبركة في أولادها، فابتسمت وتمنتْ لي السعادة أيضًا، وأن أكون السنة القادمة في بيت زوجي.

نعم، هذه هي السعادة من وجهة نظرها ولن تتغير أبدًا. أحزنني ذلك الحوار وذلك التفكير الرجعي السطحي، ولكن كان هناك إحساسٌ بالانتصار يهوِّن حزني، لقد شعرت بالانتصار عندما أقنعتُها بحديثي في النهاية، وقالت أنني على حق وأن ابنتها أصبحت تفضِّل الدراسة الآن بعدما خاضت مشروع الزواج.

أغلب الناس يكرهون مكان عملهم، أو عملهم بشكل أصح، ولكن أنا دائمًا مختلفة عن الجميع، فكان المكان الوحيد الذي أشعر فيه بالراحة والسعادة هو مكان عملي؛ حيثُ أجد نفسي هناك مع هؤلاء الأطفال المرضى، أتألم لألمهم وأفرح لمعافتهم، ألعب وأضحك معهم وأود أن أبقي معهم للأبد ولا أفارقهم. ليتني أستطيع العيشَ معهم في مكانٍ واحدٍ نلعب ونمرح طوال الوقت، ولكن هناك أحلامٌ لا نستطيع تحقيقها، نعلم استحالة حدوثها، ورغم ذلك لم نتوقف يومًا عن الحلم بها.

عندما أجلس مع نفسي في غرفتي وأفكر في ذلك الموضوع الذي يشغلهم جميعًا ويشغل كل من يعرفني، القريب والبعيد، كأنه موضوعٌ مصيريٌ، ولا بُدَّ من حدوثه حتمًا وإلا ينظرون إليَّ بنظرة شفقة وعطف، وكأنه عارٌ عليَّ إن لم أتزوج مثلهم، مع أن نسبة كبيرة منهم يندمون على الزواج بعد ذلك، ويتمنون إن لم

يفعلوا ذلك بعد، ولكنهم عندما يرون من لم يتزوج ينظرون إليه بشفقة وينسون شعورهم بالندم على فِعله. لا أعلم هل هم مرضى بهذه العادات أم هم مرضى بالأنانية ويريدون أن نخوض التجربة مثلهم حتى لا نكون أفضل منهم في شيء!

فذلك الانفصام في كلتا الحالتين أراه مرضًا، فكيف لشخصٍ طبيعي يسُبّ الزواج كل يوم، ويندم على فعلته، ويقول إذا عاد به الزمن لن يفعل ذلك أبدًا! وفي الوقت ذاته يشجع صديقه على خوضه؛ حتى لا يفوته قطار الزواج كما يقولون. بالطبع فهذا ليس شيئًا طبيعيًا من وجهة نظري الخاصة. وأتمنى لو وجد كل شخص ذلك الإنفصام لديه، يواجه نفسه ويسيطر على فعل ذلك.

أفكرُ في نفسي وأتساءل: هل هذا القرار الذي اتخذته صحيحٌ أم خطأ؟! ولماذا الجميع ضدي؟ ومن منا على صواب، أنا أم هم؟ أفكر: هل بالفعل أستطيع العيش بمفردي طوال حياتي بلا زوج وأولاد؟ (بلا أولاد)! ظلت هذه الجملة تتردد في ذهني كثيرا: هل حقًا أستطيع العيش بدون أطفال! يحملون صفاتي ويعيشون معي طوال حياتي! هل أستطيع تحمل ذلك بالفعل؟! فأنا أعشقهم وأتمنى أن أعيشَ معهم للأبد.

بعدما ردَّدتُ ذلك السؤال في ذهني كثيرًا، أجبت على نفسى أخيرًا: نعم أستطيع، فأنا أرى الكثير من الأطفال في العمل، ذلك يُهوِّن علي الحرمان من الإنجاب، ولكن رؤيتي للأطفال في العمل لا تتعدي العشر دقائق لكل طفل، هل هذا الوقت كافي؟! كلا.. لا يكفي، ولكن ما باليد حيلة، فرؤيتي لطفل لمدة عشر دقائق تكون أهون من رؤيتي لطفلي وهو مريضٌ نفسيٌّ طوال حياتي.

لا أريد لأطفالي أن يكرروا سيناريو طفولتي؛ حيث كانت طفولتي حزينة لا أجد أخًا أو أختًا يساندونني، يلعبون معي، ويشاركونني حياتي، أما أبي وأمي فهما مشغولان طوال الوقت، أبي في عمله ويأتي للبيت في وقتٍ متأخرٍ من الليل ليأكل وينام، أما أمي فكانت طوال الوقت مع صديقاتها في النادي أو تمارس أعمالها المنزلية حتى تتعب وتنام. ولم يكن لدي أصدقاء في عمارتنا أو في المدرسة سوى صديقة واحدة وانتقلت للسفر خارج البلاد مع أهلها فأصبحت وحيدة مرة أخرى.

لا أرى أبي وأمي يتحدثان معًا إلا وهما يتشاجران، سواء عن المصاريف المنزلية أو عن أشياء أخرى، أرى أنها أشياءٌ تافهة لا تستحق كل ذلك الشجار، ولكن ضغوطات الحياة هي من صنعتها.

وقتها أدخل غرفتي وأغلق الباب وأجلس وحيدة، أحيانًا أبكي وأحيانًا أخرى أتمالك نفسي؛ حيث اعتدت على ذلك الوضع، فأنا لم أتَّخذْ ذلك القرار من فراغ. أبي وأمي لم يكونا المثال الأوحد لي، فأنا لم أرَ أيَّ شخصٍ في عائلتنا أو أصدقائنا سعيدًا بعد زواجه إلا من رحم ربي، فالزوجان السعيدان رأيتهم فقط في الأفلام والمسلسلات، وأعلم أن هذا ليس حقيقيًا أيضًا، ولكن ما هو إلا من وحي خيال المؤلف الذي يتمنى أن يري ذلك في الحقيقة، فيعوضه بكتاباته وأفلامه ومسلسلاته الخيالية.

الفصل الثاني

كعادتي اليومية ومثلَ كلَّ يومٍ يمرُّ منذ أن تم تعييني بالمستشفى، أستيقظُ مبكرًا، وبعد انتهائي من الصلاة والوِرد الصباحي للقرآن الكريم، أقوم بإعداد الفطور وشُربِ فنجانِ القهوة صباحًا قبل الذهاب إلى لعمل، مع قراءة كتاب من كتبي الجميلة من إحدى مكتباتي. نعم مكتباتي، فلم تَكفِ مكتبة غرفتي الصغيرة؛ فقمت بصنع واحدة أخرى بغرفة المكتب الخاصة بأبي لتضم جميعَ كتبي، فهولاء الكتب بمثابة أبنائي. عندما أبدأُ القراءة في واحدٍ منهم أنفصل تمامًا عن كل شيء بالعالم، وأدخل إلى عالمٍ آخر من عوالم القراءة الجميلة التي أعشقها ما حييت؛ حيث أقرأ الكتاب مع فنجان القهوة صباحًا، ثم أرتدي ملابسي وأذهب للعمل بكل نشاط وحيوية. وبالطبع لا أنسى الحلوى لأطفالي الصغار، حيث إنه بعد كلِّ كشف أقوم بإعطاء الحُلوى لطفلي الصغير المريض مع القبلات والتمني له بالشفاء العاجل. في ذلك اليوم الذي أتذكره تحديدًا، بعد الإنتهاء من العمل، كنت على وشك الخروج من المستشفى، وإذا بهاتفي المحمول يرن فأخرجته من الحقيبة لأرى اسم والدي عليه، انتابني وقتها شعورٌ من القلق، وتساءلت في نفسي: «ماذا يريد أبي في هذا الوقت»! فهو لم يفعل ذلك من قبل هذه المرة الأولى التي يحدثني بها في العمل، فقمت بالرد عليه لأرى ما الأمر. أخبرني أنه قريبٌ من مكان عملي ويريد اصطحابي في الرجوع إلى لمنزل، فقبلت وانتظرته حتى جاء وذهبنا معًا.

ونحن نسير في طريقنا، طلب أبي أن نذهب من طريق آخر؛ فتعجبت! وسألته:

لماذا نغير طريقنا؟!

فجاوبني:

هذا الطريق أسهل.

أنا أعلم أنه ليس الأسهل، ولكن فضَّلت الصمت لأرى ماذا يريد من هذا الطريق؟! بعدما دخلنا الشارع بحوالي ثلاثة أو أربعة محلات، كان هناك رجلٌ في سن أبي قادم علينا وكأنه يقصدنا، وكان معه شابٌ آخر. بالطبع كان يقصدنا كما توقعت، فأتى إلينا مسرعًا عندما انتبه إلينا، وبدأ يتبادل السلام والأحضان مع أبي ثم نظر إلي وقال:

دي بنتك يا حج، ما شاء الله زي القمر! فنظرت إليه مبتسمة بابتسامة مجاملة ثم شكرته، قال:

وأعرفكم ابني كمال.

فسلم كمال على أبي ثم نظر إليَّ وألقى عليَّ السلام ولكن في خجل. في هذه اللحظة فقط علمت لماذا اصطحبني أبي اليوم في العودة للمنزل، ولماذا رفض هذا الطريق وذهبنا من طريق آخر.

حسنًا سأعرفكم، فهذا عم جمال صديق أبي منذ سنين طويلة، ولكن مشاغل الحياة كانت عائقًا كبيرًا أمام صداقتهما. منذ زمن طويل لم يتقابلوا، ولكن ومن حظي منذ يومين فقط تقابلا صدفة في أحد الجوامع، ولما علم عم جمال أن أبي لديه ابنه لم تتزوج عرض عليه زواج ابنه من ابنته، وأبي وافق بالطبع، واتفقا هما الاثنان على هذه الصدفة المُرتَّبة؛ لكي يرى كلٌّ منا الآخر، فأبي أخذني من عملي للعودة إلى المنزل وكمال أيضًا صار معه نفس الشيء. من الواضح أنه الآخر لم يكن

يعلم بتلك الصدفة المرتبة؛ لِما بدا على وجهه من علامات خجل يصطحبها استغراب كلي، تمامًا مثلي.

علمت بتلك المعلومات من أمي عندما جاءت لتخبرني بالعريس الجديد -كمال بن عم جمال- وكالعادة أجبت عليها بإجابتي المعتادة:

لا أريد الزواج الآن.

مع أنها كانت تتوقع تلك الإجابة إلا أنها غضبت كثيرًا من إجابتي هذه المرة؛ فقالت:

لحد امتى هتفضلي ترفضي أي حد يتقدم لك؟ كمال مش زي أي عريس، دا شاب مختلف.. أنت عارفة إنه ابن صاحب أبوك، ومن عيلة كبيرة ومهندس قد الدنيا، ومرتبه يعيشك ملكة.

أنت عارفة إن أنا مش ببص للفلوس ولا للعيلة، وعلى فكرة أنا كمان مرتبي معيشني ملكة، مبسوطة وبجيب كل اللي أنا عايزاه ومش ناقصني حاجة الحمد لله.

أنت بتسمّي مُرتبك دا فلوس وكمان معيشك مبسوطة!

أيوة، ما دام بيكفيني إزاي مش هكون مبسوطة!

أنت مافيش فايدة فيك.

غضبت أمي وخرجت وهي مسرعة لأبي وتقول له:

عملت كل اللي أقدر عليه، لكن زي كل مرة مش عندي طاقة أقنع بيها المتمردة دي.

فالآن أصبحتُ متمردة! جائني أبي لإقناعي هو الآخر والغضب في عينيه، قائلًا:

صحيح رفضتِ كمال؟

أيوة.

ليه!

مش عايزة أتجوز دلوقتي.

لحد امتى؟

مش عارفة.

وهتعرفي امتى؟

مش عارفة برده.

طيب مش هتعب نفسي معاكِ أكتر من كدا، أنت هتتجوزي كمال يعني هتتجوزيه.

نعم! إزاي أنا بقول لحضرتك مش عايزاه.

وأنا بقول أنت هتتجوزيه. بصي يا حياة، أنا صبرت عليكِ كتير وخلاص صبري خلص، أنت كدا هتبوظي حياتك بنفسك ومش هتلاقي حد مناسب زي كمال.

بس أنا مش عايزة أتجوزه، هتجوز بالغصب؟!

آه بالغصب يا حياة، ما هو مش موجود حل تاني ينفع معاك.

بس يا بابا...

خرج أبي من غرفتي دون إكمال المناقشة وهو حاسم أمره، أما أنا فلا أصدق ما سمعته منه، لهذه الدرجة يريد زواجي من كمال حتى إذا صار بالإكراه؟!

حاولت أن أشكو لأمي لتقنع أبي بتغير رأيه، وأن هذا الشيء ليس في مصلحتي، ولكني وجدتها توافقه الرأي هي الأخرى. هل هذه حقيقة أم خيال؟! لم أكن أتوقع أن يأتي ذلك اليوم مسرعًا، أعلم أن صبرهم سوف ينفد ولكن لا أعلم أنه سينفد بهذه السرعة. حقًا ماذا أفعل؟ لا أدري ولا أعلمُ أي شيء حتى لا أستطيع التفكير وقتها من الصدمة.

بتُّ ذلك اليوم أفكر: هل أبي سينفذ ما قاله أم هذا تهديد فقط؟ وماذا إذا لم يكن تهديدًا فقط؟ ماذا سأفعل؟

لم أنَم لحظة واحدة، ولم أكف عن البكاء والتفكير حتى جاء ميعاد استيقاظي للعمل، نهضت وارتديت ملابسي حتى لم أتناول فطوري، ولم أقرأ كتابي مثل كل يوم، فقط قضيت الصلاة وأنهيت الورد الصباحي من القرآن الكريم وشربت فنجان القهوة سريعًا لأستعيد بعضًا من تركيزي، وخرجت للعمل، لم أرَ أبي مثل كل صباح؛ حيث خرجت اليوم مبكرًا عن المعتاد.

لم أكن في كامل تركيزي أثناء تأدية عملي، فلاحظ ذلك المرضى وزملائي أيضًا، فأخبرتهم أنني لم أنَم بشكلٍ كافٍ فقط لا غير، وأنني على ما يرام. بعد الانتهاء من العمل وجدت نفسي ذاهبة إلى البحر الذي بجانبنا، أفكر أمامه وأنظر إلى أمواجه المتسارعة وأفكر فيما حدث بالأمس. أتمنى أن يكون هذا كابوسًا وأستيقظ منه في أسرع وقت ممكن. بينما أسرح مع البحر وأمواجه إذا بهاتفي

يطلق صوتًا لينقذني من ذلك التفكير، أمي تتصل بي تستعجلني لميعاد الغذاء، فذهبت إلى المنزل مباشرة وتناولنا الطعام، وأبي وأمي صامتون، لا أحد يتحدث معي في ذلك الموضوع مجددًا على الرغم من خوفي من صمتهم هذا إلا أنني كنت سعيدة لأنهم لم يفتحوا ذلك الموضوع.

مر أسبوعٌ كاملٌ على هذا الوضع حتى كادت الفرحة تسيطر عليَّ، أسبوع كامل ولم يفتح معي أحد ذلك الموضوع. هل أبي اقتنع وأنهى ذلك الموضوع مع عم جمال أم عم جمال هو الذي أنهى الموضوع مع أبي لعدم رغبة كمال بالزواج هو الآخر؟! لا أدري ولم أسأل حتى لا أفتح النقاش معهم مجددًا، فكان صمتهم يعطيني أملًا في عدم حدوث ذلك الزواج.

ظل الوضع هكذا حتى دخلت أمي غرفتي لتخبرني بأن أستعد لأستقبل العريس غدًا، وقعت جملتها عليّ وقع الصاعقة! أقسم أنني صُعقت، وقلت لها:

ماذا؟! ألم ينتهِ ذلك الموضوع بعد؟!

لا لم ينتهِ.

فقد اتصل عم جمال بأبي وقال له بأنهم سوف يأتون غدًا للإتفاق على أمور الزواج، واعتذر منه على التأخير؛ حيث كان لديه مسؤوليات ومشاكل، لم يوضح ما هي تلك المشاكل، أظن أنها أمورًا عائلية.

خرجت أمي وتركتني مع صدمتي وحيرتي، أتحدث مع نفسي كالبلهاء قائلة:

ماذا أفعل؟! ماذا أفعل؟! هل سأتزوج وبهذه الطريقة؟! لا، هذا مستحيل، ولن يحدث أبدًا، لن أستسلم لهم مها حدث.

بعد مرور ساعتين من التفكير في غرفتي مع البكاء الشديد، نهضت وتوقفت عن البكاء، ومسحت دموعي، ثم خرجت إليهم وأنا واثقة من قراري هذا، وأخبرتهم أنني لن أتزوج، ولن أقابل أحد غدًا وافعلوا ما شئتم، ثم دخلت غرفتي وتركتهم في قمة غضبهم، دخل أبي غرفتي قائلًا لي:

يعني إيه هتعصي أمري؟

العفو يا بابا، بس أنا مش هقدر أنفذ طلبك، صدقني بجد مش هقدر.

لا هتنفذيه، سواء بمزاجك أو غصب عنك هتنفذيه، ومش هعيد كلامي دا مرة تانية مفهوم؟

ثم تركني، فأغلقت باب غرفتي وانفجرت في البكاء الشديد، وشعرت وقتها أن عقلي أصبح لا يعمل، لم أستطع التفكير ولم أكف عن البكاء لحظة حتى تورمت عيناي وانتهك جسدي من التعب، ولم أستطع الذهاب إلى لعمل وقتها فكان ذلك أول يوم أتغيب فيه عن العمل منذ أن تم تعيني به.

بالطبع زملائي بالعمل انتابهم شعورًا بالقلق لغيابي هذا؛ لأنني لم أفعلْها من قبل وليس هذا فقط، بل أذهب للعمل دومًا قبلهم جميعًا، فحاولوا الاتصال بي ولكني لم أستطِع التحدث مع أحد فأغلقت هاتفي. دخلت أمي لتطمئن عليّ بعدما تأخرت عن ميعاد العمل ولم أذهب إليه، لتجدني منهكه لا أكف عن البكاء، فطلبت مني أن أغسل وجهي وأخرج لأتناول فطوري معهم وكأن شيئًا لم يكن! وقالت لي أنني عروس اليوم ويجب أن أكون على ما يرام. نظرت إليها في غضب، هل تريد استفزازي أم ماذا تريد بهذه الجملة؟

بالفعل خرجت لأغسل وجهي ولكني لم أتناول الفطور معهم، دخلت مجددًا لغرفتي وبدأت أفكر بجدية وتوقفت عن البكاء، بعد تفكير دام لمدة نصف ساعة وجدت نفسي لم أتوصل لشيء فأخذت أحمس نفسي قائلة:

لا يوجد وقت يا حياة، يجب أن تتوصلي لحل في أسرع وقت ممكن.

وبعد خمس دقائق فقط انتفضتُ من مكاني وأنا أقول: «لن أستسلم»، ثم خرجت لأرى والدَّي وهما يشربان الشاي، قلت لهم:

طبعا أنتم عارفين إن أنا بحبكم أكتر من أي حاجة في الدنيا.

فنظرا إليَّ نظرة حب، فتابعت:

بس اللي أنتم طلبينه مني دا طلب صعب أوي ومش هقدر أنفذه.

فتحولت نظرة الحب لنظرة غضب، وتابعت حديثي:

حاولت نوصل لحل يُرضينا كلنا، بس أنتم رافضين النقاش في الموضوع ورافضين تسمعوني، أنا مش هغير رأيي ومش هقابل حد النهاردا، هتعملوا إيه؟! هتخرجوني أقابلهم بالعافية! هقولهم إني رافضة الجوازة دي بنفسي ومش هخاف من حاجة، دا جواز وكل شيء قسمة ونصيب.

فنهض أبي من مكانه في غضب شديد وقال:

أنتِ بتقولي إيه؟ هتحرجينا قدام الناس!

وأنت عايز تجوزني بالغصب! الإحراج اللي ممكن أسببه لك في خمس دقايق أصعب ولا إنك تجوزني واحد مش عوزاه وأعيش معاه حياتي كلها!

مش هتقدري تعملي حاجة، هحبسك في أوضتك وأنهي المقابلة بالموافقة وأعتذر لهم بأي حاجة.

مش هتقدر تحبسني، أنا مش حيوان بتربيه وهتحبسه، ممكن أصرخ لحد ما يسمعوني وأقول لهم كل حاجة، أو بعد كدا لما أقابلهم هقول لهم ما إحنا أكيد هنتقابل تاني وماحدش هيقدر يمنعني.

اشتد الغضب لدى أبي وأمي، وظهر على وجه أبي التعب، فمسك قلبه وبدأ يصرخ ثم وقع على الأرض، فكانت هذه صدمتي الأكبر.

ركضت نحوه مسرعة وأنا أصرخ وأقول:

أبي أبي أبي...

فأمسكناه -أنا وأمي- وأدخلناه غرفته، لكنه ما زال متعبًا، فأمسكت بهاتفي وقمت بفتحه، وطلبت طبيبة زميلتي بالعمل متخصصة في أمراض القلب، فجاءت مسرعة وفحصت أبي وأنا قلبي لم تتوقف ضرباته السريعة لحظة واحدة، ويزداد قلقي أكثر كلما تأخرت الطبيبة في الكشف.

وبدأ عقلي يفكر ويقول لي أنني السبب في مرض أبي، لولا رفضي وكلامي الحاد معه ما كان سيحدث ذلك في تلك اللحظة، ندمت على أيِّ وقت مر أغضبت فيه أبي، وندمت على ما فعلته وعلى كلامي الحاد له وتمنيت لو عاد بي الوقت ولم أفعل ذلك.

انتهت الطبيبة من الكشف وأعطت أبي حقنة وكتبت له على أدوية، وقالت:

ألف سلامة عليك يا عمي، مش ضروري القلق خالص، أنت كويس هتاخد العلاج وهتبقى أحسن من الأول إن شاء الله.

فشكرها أبي بصوته المتعب، ثم خرجت وخرجتُ معها لأوصلها وأشكرها على ما فعلته، فقالت:

من الواضح كدا إن فيه حاجة مزعلاه.

اندهشت من حديثها وتأكدت أنني السبب في مرضه، فتابعت الطبيبة:

حاولوا تبعدوا عمي عن الزعل خالص وإلا ممكن يتعب كدا تاني أو أكتر من كدا لا قدر الله، الزعل خطر على حياته فهماني يا حياة؟ خطر علي حياته

آه فهماكِ، ماتقلقيش هعمل كل اللي أقدر عليه، معلش تعبتك معايا النهاردا يا دكتور، بجد مش عارفة أشكرك إزاي.

ولا تعب ولا حاجة يا حبيبتي، إحنا إخوات مافيش بينا الكلام دا، صحيح هو دا السبب اللي خلاكي ماتجيش النهاردا؟ إحنا قلقنا عليكِ أوي وحاولنا نتصل بيكي كتير بس تليفونك كان دايما مقفول.

آه، فعلًا كان مقفول. متشكرة أوي بجد واشكري لي كل اللي حاول يطمن عليا، وأنا إن شاء الله هاجي بكرة.

إن شاء الله.

خرجت الطبيبة بعد أن تبادلنا السلام، ثم وقفت وراء الباب بعد أن أغلقته خلفها وأنا أفكر فيما قالته، فأنا تسببت في مرض أبي. نعم أنا السبب، وكاد أن يضيع مني، لا أستطيع تحمل ذلك، بل لا أستطيع حتى أن أفكر به. خرجت أمي لتبحث

عني وسألتني لمَ أقف هكذا وراء الباب؟ أخبرتها بأنني سأرتدي ملابسي على الفور وأخرج لإحضار الدواء لأبي وأنه سيكون على ما يرام؛ فلا داعي للقلق.

فهزت رأسها إيجابًا، ثم دخلت لأبي ودخلت أنا غرفتي، ارتديت ملابسي وكنت على وشك الخروج، وإذا بأبي يناديني فدخلت له على الفور، قال لي:

هتعملي إيه؟

هنزل أجيب الدوا ومش هتأخر ماتقلقش.

أنا مش عايز دوا، أنا دوايا إنك تتجوزي كمال من غير إحراج قدام الناس النهاردا.

لم أعرف ماذا أقول له، فوجدت نفسي أكرر جملتي الأخيرة وكأنني أرفض سماع جملته الأخيرة، قائلة:

هنزل أجيب الدوا ومش هتأخر ماتقلقش.

ثم ابتسمت له ابتسامة مزيفة، وخرجت وأنا مندهشة؛ هل هذا وقت مناسب للتحدث في ذلك الموضوع؟ ألهذه الدرجه يريد زواجي من كمال؟! لم أكن أعلم أن هذا الموضوع ذو أهمية كبيرة لدى أبي حتى كاد أن يخسر حياته من أجل إتمامه!

فخرجت واشتريت الدواء وعدت إلى المنزل مسرعة لأعطي أبي منه، ثم دخلت غرفتي لأفكر: هل ما حدث بالساعات الأخيرة حقيقة أم خيال! هل سأضطر للموافقة بزواجي من كمال خوفًا على أبي؟! أم أرفض وكل شيء قضاء وقدر والموت والحياة بيد الخالق وكل شيء مكتوب ولا يستطيع أحد تغييره؟ ماذا إذا

تزوجت من كمال ثم رحل أبي بعدها بوقت قصير؟! وقتها سأكون خسرت كل شيء، خسرت سعادتي وخسرت أبي. وماذا إذا كان كمال عكس ما يتوقعون وعشت معه في تعاسة أبدية؟ هل سيكون أبي بخير وقتها أم ستكون أمي سعيدة بزواجي الذي تنتظره بفارغ صبرها؟ هل سيكون أقاربنا وأصدقاؤنا سعداء بذلك، وستطمئن السيدة جمالات وقتها.

الجواب: لا أحد سيكون سعيدًا، ولكنهم وقتها ما سيفعلونه وأقصى ما في وسعهم سيرغموني على البقاء معه وتحمله والعيش معه في تعاسة أبدية؛ حتى لا أصبح مطلقة في هذا المجتمع العقيم! فتدمير حياة ونفس المرأة أصبح أمرًا عاديًا بالنسبه لهذا المجتمع في مقابل عدم الطلاق. لا أعلم لمَ يفكرون بهذه الطريقة؟ لمَ هذا الجهل والتخلف؟ فمن الطبيعي أنه عندما لا يتفق الزوجان ينفصلان، هذا أمرٌ طبيعيٌ في جميع المجتمعات عدا مجتمعنا، ينظرون للطلاق نظرة قبيحة مع أنه إذا لم يكن أمرًا مفيدًا في بعض الحالات، بل في كثير من المواقف والمشكلات المستعصية على الحل، فإن الله -سبحانه وتعالى- أحله في كتابه الكريم وجعل له ضوابط تصون حقوق الطرفين. نعم إنه أصعب الحلول وأبغضها إلى الله، ولكنه ما زال العلاج الناجح إذا ما تعسرت الحياة الزوجية ووصلت إلى طريق مسدود.

دعونا نفكر بطريقة أخرى: ماذا إذا كان كمال رجلًا صالحًا؟ نعم هذا أمر جيد، ولكن أنا لم أحبه وأعتقد أنني لن أكون سعيدة مع شخص لا أحبه.

قطعني أبي من التفكير بدخوله غرفتي وهو ينظر إليَّ نظرة حزن ويقول:

عمك جمال كلمني دلوقتي بيأكد على ميعاد النهاردا، ما كنتش عارف أقول إيه، سكت. وهو اعتقد إننا موافقين ومن فرحته ماخدش باله من سكوتي.

وجدت نفسي أقف أمامه وأقول:

وأنا هكون جاهزة في الميعاد لمقابلتهم، ماتقلقش المهم أنت تكون بخير. فجأة، تحولت نظرة الحزن لدى أبي لفرح شديد ودبَّ بداخله النشاط وقال:

يا حبيبتي يا بنتي، وأنت ماتقلقيش خالص، أنا هجهز كل حاجة مع مامتك، ألف مبروك يا عروستي الجميلة.

ابتسمت له ابتسامة حسرة وأنا أقول في سري:

قال عروستي الجميلة قال!

فخرج أبي وأخبر أمي بموافقتي، سمعت أمي الخبر من هنا وأطلقت الزغاريد من هنا.

أتضح أنني كنت سبب تعاستهم ولا أدري، أما أنا فأحبس دموعي بداخلي حتى لا يراها أبي ويحزن، وأخذت أتساءل وأجيب على حالي:

هل ما فعلته هو الصواب؟

نعم، هو الصواب. فأنا أستطيع تحمل أي شيء إلا أن أكون سببًا في مرض أبي أو أمي، فهما يمثِّلان لي الحياة بأكملها. فزواجي من كمال غصبًا أهون علي من مرض أبي، وتعاستي أهون من أن أرى تعاسة أبي وأمي، فأنا أضحي بسعادتي من أجل حياة أبي. بدأ أبي وأمي في ترتيب كل شيء مثل إحضار الحلوى والعصير، وكأن أبي هذا الذي يساعد أمي في التحضير بكل نشاط وحيوية غير أبي الذي كان مريضًا منذ ساعة واحدة، وكأنه تحوَّل لشخصٍ آخر إثر جملة واحدة أخرجتها. ألهذه الدرجة ممكن أن تحول الكلمة حياة الشخص؟!

نعم، فللكلمة أثر كبير على النفس، تستطيع تغير كل شيء بداخل الإنسان وإلا ما كانت (الكلمة الطيبة صدقة) فهناك كلمة تدمر حياة شخص، وكلمة أخرى تدب فيه الحياة.

****

الفصل الثالث

مرَّت الساعات بسرعة شديدة وجاء وقت المقابلة، الوقت الذي أتمنى أن لا يأتي مطلقًا. كنت في حالة ذهول، لا أستطيع تصديق ما حدث وما سوف يحدث. ارتديت ملابس بسيطة مع القليل من مستحضرات التجميل بعد إصرارٍ من أمي. دق جرس الباب، وازدادت معه ضربات قلبي. لا أريد أن أخرج لهم، لا أريد الزواج منه، لا أريد أي شيء سوى عَيشِ حياة حرة بمفردي مع عملي وأطفالي وأصدقائي وجيراني، والأهم أبي وأمي لا أريد أيَّ شيء آخر، لا أريد، حقا لا أريد.

جاءت أمي تناديني لأقدم العصير للضيوف، ذهبت معها وأنا أتقدم خطوة وأتراجع خطوتين حتى جذبتني لأسُرع. فدخلت عليهم لأجد عم جمال وتجلس بجانبه زوجته السيدة فاطمة، وبنتها سارة متزوجة ومعها ابنتها الصغيرة تسمى لارا، وكمال جالس بجانبهم. قدمت لهم العصير، وسلمت عليهم. أظهروا إعجابهم بي وبجمالي كالمعتاد من أي أسرة تذهب لرؤية عروس ابنهم، أما كمال فكان صامتًا لا يتحدث كثيرًا، كان عم جمال هو من يتحدث مع أبي ووالدته فاطمة مع أمي وأنا كنت صامتة مثل كمال تمامًا، لا أتحدث إلا إذا سألني أحدهم سؤالًا وكان ردي مختصرًا.

كانت سارة تحاول التحدث معي في أي شيء؛ لتخلق جوًا من الصداقة بيننا، ولكن أنا كان كل تركيزي مع شخصٍ واحدٍ، أتعلمون من؟ لا، ليس كمال، بل الطفلة الجميلة (لارا) ذات الثلاثة أعوام، فكنت أنظر إليها في حب، فوجدت نفسي أشير لها لتأتي وتجلس بجانبي وتعرفنا على بعضنا البعض.

أحببتها وأحببت لغتها الطفولية، تلك اللغة التي أعشقها في الأطفال، وأظن أنها أحبَّتني؛ خصوصًا بعدما أحضرتُ لها الحلوى التي اعتدت شرائها لأطفالي بالعمل. أنتهت المقابلة بعدما اتفق أبي وعم جمال على جميع الترتيبات.

بعدما خرجوا سمعت أمي تقول لأبي: بس يا أبو حياة هو شهر واحد كفاية! إحنا لسه مش عارفين الناس كويس.

توقفتُ لحظتها بمكاني أحدث نفسي كالبلهاء، فهذه عادتي هذه الأيام: هل ما سمعته صحيح! بقولون شهرًا واحدًا فقط! فقلت:

إيه! أنتم بتتكلموا على إيه؟

فقالت أمي:

- عن جوازك اللي بعد شهر.

ازدادت صدمتي بعدما أكدت لي أمي أن ما توقعته صحيحًا، فقلت:

شهر واحد بس! أكيد مش كفاية.

فقال أبي:

عمك جمال قال الشقه جاهزة ومش ناقصها غير العفش بس، يبقى ليه نأخر خلينا نفرح بيكم.

بس أنا مش جاهزة دلوقتي.

قدامك شهر بحاله تجهزي فيه.

ودخل غرفته، فدخلت من خلفه وأنا غاضبة، فقال أبي:

خير.

بابا أنا... ثم صمت قليلا وتذكرت كلام الطبيبة: «الزعل خطر على حياته فهماني يا حياة»؟ فتراجعت وقتها عن غصبي خوفًا عليه.

أنتِ إيه!

أنا آه، أنا كنت عايزة اطمئن إنك أخذت العلاج.

هاخده أهو دلوقتي شكرًا يا عروستي الحلوة.

ابتسمت له وخرجت من الغرفة ودخلت غرفتي، كيف لا أسمعهم وهما يتفقان! وكأنني لم أجلس معهم. نعم بالفعل، فأنا كنت أجلس مع لارا فقط، وتذكرت حديثي معها وابتسمت من كل قلبي ابتسامة لا تخرج إلا مع تلك الكائنات الصغيرة، هما من يستطيعان إسعادي وأخذي من هذا العالم الكئيب لعالم آخر كله سعادة وبراءة، ثم حمدت ربي أنني لم أسمع اتفاقهم وإلا كنت أتصرف تصرفًا غبيًا، كعادتي لا أستطيع تمالك أعصابي، لكني تعجبت؛ لأنهم لم يتركوني أجلس مع كمال بمفردنا. نعم، أردت أن لا يحدث ذلك وربي استجاب لدعائي ولم يحدث، ولكن كيف أتزوج شخصًا بعد شهرٍ واحدٍ ولا أعرف عنه سوى اسمه ووظيفته فقط؟!

في اليوم التالي وأنا بالعمل، جاءني رجل الأمن ليخبرني بأن هناك من يريد مقابلتي بالأسفل، فذهبت لأرى من! هل أبي جاء ليصطحبني إلى لبيت مرة أخرى أم من وماذا يريد؟! نزلت للطابق السفلي وتفاجأت عندما رأيته، إنه كمال! لمَ جاء؟ وماذا يريد؟ وفي هذا الوقت! وفي مكان العمل! كل تلك الأسئلة كانت تدور بعقلي ولكن كلها ثوانٍ وأعرف كل شيء. ذهبت إليه وأنا أنظر له في دهشة، فحدثني قائلًا:

إزيك؟

الحمد لله وأنتَ؟

الحمد لله، كنت عايز أكلمك في موضوع مهم.

دلوقتي.

آه، مش هاخد من وقتك غير خمس دقائق بس.

مش هينفع، دا وقت الشغل وأنا عندي شغل كتير النهاردا.

خمس دقائق بس مش هأخد أكثر منهم أرجوكِ.

فوافقتُ، ليس إرضاء له بل لإرضاء فضولي حتى أعرف ماذا يريد،

فحركت رأسي إيجابًا، فصمت كمال ولم يتحدث، فقلت:

الخمس دقايق هتخلص كدا.

كنت عايز أقول لك ثم صمت مرة أخرى.

عايز تقول إيه!

كنت عايز... عايز...

عايز إيه؟!

عايز أخد رقمك علشان أقدر أكلمك في أي وقت.

ارتبكت أنا الأخرى مثله، بل كنت أكثر منه ارتباكًا، ثم سألته:

لماذا لم تأخذه بالأمس؟

إيه؟ آه... نسيت.

تبادلنا الأرقام ثم تركني وخرج، وذهبت لأكمل عملي وأنا أفكر: هل سيتحدث إلي أم لا؟ كنت طوال اليوم أنظر إلى هاتفي، ولكنه لم يتحدث إلا في اليوم الثالث. رن هاتفي لأجد اسم كمال عليه بعد أن نسيت أنه أخذ رقمي من الأساس فأجبته:

إزيك عاملة إيه؟ معلش كنت مشغول الفترة اللي فاتت.

الحمد لله لا عادي ولا يهمك.

أنت فاضية ننزل النهاردا نختار العفش.

حياة بعد صمت قليل:

لأ، أقصد هقول لبابا الأول.

ماشي هستني ردك.

أجبت بالموافقة وأنهينا المكالمة.

لماذا كل شيء يأتي سريعًا هكذا؟ كنت وقتها بالعمل، أوشكت على الاتصال بأبي لأخبره، لكنه سبقني، فوجدته يتصل بي، فأجبته وأخبرته بمكالمة كمال، فكان هذا ما سوف يخبرني به أيضًا؛ حيث اتصل به عم جمال وأخبره وهو وافق، واتفقوا على النزول بعد صلاة العصر.

انتهت المكالمة وأنا أشعر بضيق شديد كأن شيئًا ثقيلًا على قلبي، فأراد أبي أن يخبرني فقط لا يُخيرني.

أتصل به أم لا؟ عشر دقائق أسأل نفسي هذا السؤال، ثم أمسكت الهاتف واتصلت به أخبرته بموافقة أبي مثلما وعدته.

تمام نتقابل على خير إن شاء الله.

إن شاء الله.

بعد صلاة العصر مباشرة جاء عم جمال بسيارته ومعه زوجته السيدة فاطمة، فركب معهم أبي وأمي، أما أنا فركبت سيارة كمال الخاصة به، فكان المقعد الأمامي بجانب كمال فارغًا لأجلس فيه، ولكني لم أقاوم، كيف يمكنني أن أجلس بعيدة عن صديقتي لارا، فجلست بالخلف مع سارة ولارا. استغربت سارة لما فعلته، و لكن عندما رأت تعلقي بلارا أختفى تعجبها قليلًا.

رأينا أكثر من محل ولم يعجبني شيئًا، فأخذتني أمى جانبًا لتتحدث إلي وقالت:

أنا فهماكِ كويس، عايزة تأجلي الجواز بأي شكل، لو مش هتختاري حاجة النهاردا هننزل بكره أو بعده، ومش هنديكي فرصة إنك تأجلي أنت فاهمة؟ أبوكي تعبان وعايزين نفرحه ونسعده بيكي وإلا بقى هختار أنا العفش على ذوقي وتبقي تحت الأمر الواقع.

ثم أمسكتني من يدي لندخل المحل السابع اليوم، كان به عفش جيد ولكن هذا ليس ما أحب، فقلت لهم إنني لا أجد ما يناسبني، واقترحت أن يكون العفش عمولة فسبق عم جمال أمي قبل أن تنطق بشيء وقال:

تحت أمر العروس، ما تطلبه واجب علينا.

ذهبنا إلى لمنزل وكادت أمي أن تأكلني بنظراتها.

في اليوم التالي أخبر عم جمال أبي أنه اتفق مع مهندس ديكور، ويجب أن أجلس معه لأختار ما يناسبني من تصميمات. في اليوم التالي مباشرة ذهبنا لرؤية بيت الزوجية وجائنا مهندس الديكور هناك، واخترت معه التصميمات التي أريدها ووعدني أنه سوف ينفذها كما هي. في أقل من أسبوعين كان كل شيء قد أنتهى ولم أتحدث مع كمال كثيرًا، فقد جاء لزيارتنا مرة واحدة وهاتفني عدة مرات لم تُعد على اليد الواحدة. كانت أمي تقول: إنه شابٌ محترمٌ لا يريد التحدث معي ليلًا ونهارًا مثل باقي الشباب، فقط ينتظر بعد كتب كتابنا الذي سوف يحدث بعد أيام قليلة.

كانت جميع الاتفاقات تدور بين أبي وعم جمال، أما الأمور النسائية تدور بين أمي والسيدة فاطمة، وكانت سارة تحادثني من وقت لآخر حتى تطمئن علي وأنا أتحدث معها لأطمئن على لارا، فرأيت في سارة الصديقة والأخت أظن أننا سوف نكون أصدقاء مميزين.

أرسلت لي سارة صور فساتين زفاف لمصممة أزياء صديقتها، فكانت تصميماتها رائعة لدرجة أنني كنت في حيرة شديدة في الاختيار، فاخترت واحدًا منفوشًا شبيه بفستان سندريلا، كان رائعًا حقًا، ثم سألتني سارة إذا كنت أريد حجز الزفاف في قاعة معينة؟ فأجبتها: لا، فرشحت لي قاعة زفاف وقالت مميزاتها فأعجبتني، فوافقت عليها، فأنا لا يفرق معي القاعة أو الفستان أو أي شيء، بل لا يفرق معي الزفاف بأكمله. أتعلمون لمَ أحببت سارة؟ سأحكي لكم كل شيء...

في بداية الأمر أحببتها؛ لأنها تذكرني بصديقة الطفولة وهي أيضًا تُدعى سارة،

دعوني أتحدثُ عنها لتتعرفوا عليها وعلى مدى صداقتنا، فكانت جزءًا كبيرًا في حياتي لا تكتمل روايتي إلا بذكره، لا أتذكر سوى أنَّ حياتي كانت سارة وسارة هي حياتي. تعلَّقتُ بها بشدة، لم تكن صديقة فقط، بل كانت أختًا لي تقضي معي الوقت بأكمله، حتى في العطلات والمناسبات الرسمية كنا لا نفترق أبدًا. تُهَوِّن علي كل أمر يزعجني وأهوِّن عليها كلَّ أمر يزعجها، فهي جارتي تسكن بالشارع الخلفي لمنزلنا، أحيانًا كانت تبيت معي في بيتي، وأحيانًا أخرى أذهب أنا إلى بيتها وأبيت معها نقضي طوال الليل نتسامر ونقصُص الحكايات التي صارت في غياب بعضنا عن الآخر، أو نتناقش في أمرٍ يشغلنا ونأكل ونلعب سويًا طوال اليوم حتى يغلبنا النوم وننام بجوار بعضنا في سريرنا الصغير.

نتقاسم كل شيء معًا، فإذا أعطاني أبي الحلوى كنت آخذها معي للمدرسة لأتقاسمها مع سارة، وهي أيضًا تفعل نفس الشيء، أحيانًا كنت أذهب إليها أجدها تخبئ الحلوى من أطفال جيرانها وأقاربها في غرفتها حتى نأكلها سويًا فور وصولي إليها.

في ذات مرة كان هناك أمرٌ ما يشغلها، أحيانًا يتسبب في سعادتها، وأحيانًا أخرى يتسبب في إزعاجها، وبالطبع كانت تحكي لي كلَّ شيء، فليس لها أحد غيري تحكي له، فهي أيضًا وحيدة والديها مثلي تمامًا في كل شيء.

أما عن الأمر الذي كان يشغلها، فهو الحب. كانت سارة تحب شابًا أكبر منا سنًا في الدراسة، دعونا لا نُسَمِّيه بالحب، بل نقول مشاعر طفولية تشعر تجاهه بمشاعر مزيفة وليست حقيقية، فذلك هو حب الطفولة الذي يكون معظمه قائم على مشاعر مزيفة، توهِمنا بأنه حبٌ حقيقيٌ ولا نستطيع العيش بدونه بينما كنت

أسميه وقتها (بالهبل) أقول لها: بطلي هبل (بطلي حب) أعلم أنني كنت سابقة لسني وقتها، فكنت أرى الكثير من التجارب الفاشلة أمامي.

هذا الشاب الذي يدعى (محمد) جار سارة بنفس العمارة، كان وقتها محمد في الصف الإعدادي بينما نحن في الصف الابتدائي. نذهب أنا وسارة معًا كل يوم للمدرسة ونعود معًا للبيت، فكان محمد يقف كل يوم عند باب المدرسة ليشاهدنا عندما نخرج، ينتظر الفرصة المناسبة للبوح بما داخله من مشاعر حب لحبيبته سارة، ولكنه لم يستطِع أن يتحدث معها لأنني لم أفارقها لحظة واحدة.

أشعر أنه يكرهني لملازمتها وغضبي منه عندما يحاول الإشارة إليها من بعيد، وكانت سارة تكتفي بابتسامتها البريئة الممزوجة بالخجل عندما يحاول هو الإشارة إليها من بعيد ويبتسم لها هو الآخر، فكنت أرى ذلك فأقوم بالغضب وشد سارة للإسراع في الذهاب إلى المنزل.

لكنه لم ييأس، ولجأ إلى حيلة أخرى وهي حيلة الجوابات، فقام بكتابة جوابه وكتب به كلَّ شيءٍ كان يريد أن يخبرها به، ولكنني كنت عائقًا له. أنتظرها بمدخل العمارة ليعطيها إياه، فوجدني ذاهبة معها لبيتها في ذلك اليوم عكس عادتنا اليومية -كلا منا يذهب لمنزله ونتقابل في المساء- ولكن في هذا اليوم قامت والدة سارة بدعوتنا للغداء معًا في بيتها، فتحطمت آماله مرة أخرى وبسببي أيضًا. حسنًا، فأصبحت أنا ألدُّ أعدائه، بينما سارة تكون أشد أحبائه مثلما يقول، لكنه لم ييأس أبدًا وأرسل الجواب لسارة عن طريق حبيبة صديقه مروة زميلتنا بالصف، فجاءت وأعطت سارة الجواب وقالت لها:

الورقة دي وقعت منك يا سارة.

ورقة إية دي، أنا أول مرة أشوفها، لا دي مش بتعتي يا مروة.

مافيش حاجة وقعت يا مروة مننا، روحي شوفي صاحبتها فين.

كنت أعلم بخطتهم، فقد رأيتهم يتحدثون صباحًا عند باب المدرسة.

لا دي بتاعتك يا سارة، أنا شوفتها وهي بتقع منك.

ثم أعطتها لسارة بسرعة وانصرفت كذلك مسرعة.

سارة قائلة:

إية دة مالها دي مش ورقتي.

ما أنا عارفة دي الورقة اللي باعتها لك حبيب القلب يا ستي.

حبيب القلب مين أنت تقصدي إيه؟

أنت عارفة قصدي، تعالي بقى نروح علشان نشوف كاتب لك إيه، دا أكيد شاتم عليَّ علشان هو بيكرهني.

لا وهيكرهك ليه بس؟

أنت طيبه أوي يا سارة.

ذهبنا إلى منزل سارة لنرى ماذا يكتب في جوابه، فكانت سارة تقرأ الجواب وهي تبتسم وتكاد الفرحة تخرج من عينيها وتظهر في صوتها، بينما هي في قمة سعادتها كنت أنا في قمة حزني عليها، أعلم أنه ليس الشخص المناسب لها، أعلم أنه مخادع وغير صادق في كلامه، فسارة ليست أول بنت يقوم بخداعها وأخشى أن يكون هو سبب في تفرقنا.

مالك يا حياة؟ أنت زعلتي علشان قال عليكِ لازقة؟

لا أنا خايفة عليكِ منه.

بس دا بيقول إنه بيحبني أهو زي ما أنا بحبه.

أنت عارفة هو قالها لكام بنت قبلك؟ دا نصاب بيضحك على البنات.

بس بيقول إنه تاب لما شافني ومش هيحب حد بعدي، هو كاتب كدا في الجواب أهو.

ما هو كل مرة بيقول كدا للي بيضحك عليها.

يووووه أنت مش طيقاه كدا ليه؟ أنت غيرانه علشان هو بيحبني أنا؟

أنا هغير منك يا سارة! ومن مين من شخص زي دا! أهو بدأ يفرق بينا أهو، بصي أنا نصحتك وأنت حرة أنا ماشية.

استني أنا آسفة مش قصدي والله، مش عارفة أنا قولت كدا إزاي! من فضلك مش عوزاكِ مني يا حياة.

أنا زعلانه عليكِ يا سارة مش منك، أنا همشي علشان ماما، اوعديني إنك تخلي بالك من نفسك.

حاضر أوعدك.

بدأت حكايه سارة ومحمد تزداد يومًا بعد يوم، ظل يرسل لها الجوابات ويطلب منها أن ترسل له هي الأخرى، فخضعت لطلبه وكتبت له، وكانت مروة هي البريد المتنقل لهم. كانت تتحجج سارة كل يوم بدخولها لدورة المياه بالمدرسة

حتى تعطي لمروة الجواب أو تستلم منها جوابه. تفعل ذلك دون علمي وتراسله، تحاول إخفاء كل شيء عني، لكن كنت أشعر أنها لم تفي بوعدها لي بالبعد عن محمد، وأن هناك أمرٌ ما لا أفهمه، تطور الأمر وطلب مقابلتها ولكنها رفضت في بداية الأمر، ومع إصراره وضغطه في الطلب عليها خضعت لطلبه ووافقت.

أخبرتني سارة وقتها أنها مريضة وتشعر بالنعاس، ولم تستطِع المجيء لبيتي يومها حتى تذهب معه، شعرتُ أنها تخفي شيئًا ما، لكنني لم أتوقع أنها من الممكن أن تفعل ذلك أعلم سارة جيدًا وأعلم مدى أخلاقها، ولكن من الممكن أن تنكسر القاعدة عندما نثق بأشخاص ليسوا محلًا لتلك الثقة.

يزداد كرهي له يومًا بعد يوم، بالأخص عندما أخذ صديقتي المقربة مني تبعد عني لتقترب منه، وتبتعد عني لرؤيته، أصبح يراها ويتحدث معها أكثر مني. كنت قلقة عليها ذلك اليوم، فذهبت إليها لأطمئن عليها وجدتها ترتدي ملابسها وعلى وشك الخروج، اندهشت مما رأيتها عليه وقلت:

إيه دا أنت رايحه فين! مش أنت تعبانة!

إيه! آه... آه، ما... ما أنا خفيت وكنت جاية لك.

يعني أنت بقيتِ كويسة؟ أنا جيت أطمن عليكِ، كنت قلقانة عليكِ أوي.

آه بقيت كويسة شكرًا.

كنت قلت إنك جاية...

سارة بتوتر:

كنت... كنت عايزه أعملها لك مفاجأة، بس أنت ضيعتِ المفاجأة بقى.

أنت متوترة كدا ليه؟ شكلك لسه تعبانة.

لا مش متوترة خالص، هتوتر ليه أنا بس كنت عايزة أعملها لك مفاجأة مش أكتر.

طيب تعالي يلا نروح البيت، اعتبريني جيت أخدك يا ستي.

إيه! ماشي بس أنا حاسة إني تعبت تاني دلوقتي.

دا لما شوفتيني.

لا طبعا إزاي تقولي كدا.

أنت مخبيه عليَّ حاجة.

سارة بتوتر:

لأ، وهخبي عليكِ إيه يعني؟ ليه بتقولي كدا؟

أنت مش شايفة أنت متوترة إزاي وشكلك مش طبيعي؟ بطلتِ تقعدي معايا زي زمان وتحكي لي، حتى بطلتِ تحكي لي عن محمد.

محمد ماله؟ محمد ما أنا قلت لك إني مش بكلمه.

متأكدة!

آه طبعا متأكدة.

ماشي طب يلا بينا نروح البيت عندي زي ما كنا متفقين.

هو دا اللي هيريحك ويثبت لك إن مافيش حاجة؟

آه على الأقل هيثبت لي إن مافيش حاجه دلوقتي.

ماشي يا ستي، يالا بينا.

بينما نحن نخرج من عمارة سارة، وجدناه ينتظر خارجها وينظر إلينا كأنه كان قادم لنا، ولكنه تراجع عندما رآني وتحولت ابتسامته لغضب شديد، أرى توعده لي بعينيه، فأنا ألد أعدائه في ذلك الوقت كما تعلمون، فنظرت إليها لأجدها تنظر إليه وكأنها تعتذر له، وقتها علمت أن ما كان في مخيلتي كان صحيحًا وكان هناك موعد غرامي بينهما. خسارة يا سارة، خسارة يا صديقتي الوحيدة، لقد تغيرتِ كثيرًا من أجل ذلك المخادع، لقد نجح بجعلنا أغراب عن بعضنا البعض بعدما كنا أقرب صديقتين، أصبحت لا أعلم ما تفعلينه ولا ما تفكرين فيه بعدما كنا معًا نفكر ونفعل كل شيء سويًا.

جاءت عطلة آخر العام وكانت الاختبارات على ما يرام، لكن سارة هي التي لم تكن على ما يرام، فلم تذاكر جيدًا مثل كل عام، ولم تستطِع الحصول على الدرجات النهائية كعادتنا السنوية، فكان ذلك الموضوع يشغلها وتفكر به طوال اليوم، فلم تستطِع أن تذاكر جيدًا وبالتالي لم تجاوب بالاختبارات جيدًا.

حياة:

شوفتِ بقى الحب مش نافع لك إزاي في النتيجة، قعدت أقول لك ذاكري وبلاش تفكري فيه مش هينفعك كنت بتقولي وقتها إني غيرانة منك.

مين قال لك إني كنت بفكر فيه.

أنا مش هبلة يا سارة وعارفة كل حاجة.

سارة بتوتر:

عارفة! عارفة إيه؟

عارفة إنك بتضحكي عليَّ وإنك بتكلميه، وعارفة الجوابات وعارفة المقابلات كمان. للأسف اتغيرتِ أوي وبقيتِ تخبي عليَّ حاجات كتير من ساعة ما محمد دخل حياتك وهو شقلبها.

أيوة بكلمه وفيه جوابات ومقابلات كمان، أنا خبيت عليكِ علشان أخلص من زنك عليَّ، أنا بحبه وهو كمان بيحبني وأنا عارفة مصلحتي كويس، وفري نصايحك. أنا عارفه أنا بعمل إيه، عمري ما كنت سعيده غير وأنا معاه ببقي طايرة من الفرحة لما بشوفه أو بكلمه أنا بحبه أوي يا حياة، أفهمي بقى.

دي سعادة مؤقتة واللي بعدها مش حلو، أنا خايفه عليكِ من اللي بعد كدا، وعندك حق أنا هوفر نصايحي علشان أنا بزعجك بكلامي.

يوه بقى هتزعلي تاني!

حياة ناهية الحوار:

لو احتاجتيني فأي وقت هتلاقيني سلام.

وبعد مرور شهرٍ واحدٍ من العطلة لم نتقابل به إلا عدة مرات بعدما كنا نقضي الأجازه كلها معًا. أصبحت وحيدة لا أجد شيئًا أفعله، لا أجد شخصًا ألعب معه، لا أجد من أتحدث معه عما يزعجني، لا أجد من يشاركني الحلوى، لم أشاهد الأفلام ولم أتسامر ليلًا مع أحد، لا أجد أي شيء يسعدني. مر هذا الشهر وكأنه سنة

كاملة، اشتقت لها واشتقت لكل شيء نفعله سويًا. كم كانت العطلة ممتعة معها وكم هي مملة بدونها!

لقد اشتقت لصديقتي، اشتقت لكِ يا سارة، بينما أجلس حزينة في غرفتي أجد من يطرق الباب ويستأذن بالدخول. نعم إنها هي، سارة تقف أمام الباب تنتظرني أن آذن لها بالدخول، فقمت بإعطائها الأذن لتدخل. جلست بجانبي وعلى وجهها يظهر الحزن وبدأ الكلام بيننا على لساني:

أنت كويسة؟

سارة وهي تكاد أن تبكي:

لا مش كويسة.

حياة بقلق:

مالك؟ فيكِ إيه؟

أنا فكرت إنك مش هتدخليني عندك.

أنا صحيح زعلانه منك بس مش هقدر أعمل كدا، أنت مش بس صاحبتي أنت أختي يا سارة.

حبيبتي يا حياة، أنت وحشتيني أوي.

أنت وحشتيني أكتر.

قامت الصديقتان باحتضان بعضها وهما يبكيان.

حياة:

أنت فيكِ حاجة مش طبيعية! أنت كويسة؟

دلوقتي بقيت كويسة لما سامحتيني، كنت خايفة أخسرك أنت كمان.

أنا كمان!

أيوة، أنا سبت محمد.

حياة بفرح:

بجد! أخيرًا، الحمد لله كان لازم تعملي كدا من زمان.

كل اللي قلتيه كان صح، اكتشفت إنه نصاب وبيضحك عليَّ، فضل يزن عليَّ علشان أقابله كل يوم وأخرج معاه هو وصحابه، بس أنا كنت بخاف وبفتكر كلامك وأتحجج بأي حجة وأرفض، وعلى فكرة أنا ماخرجتش معاه غير مرة واحدة بس، وكانت خمس دقايق. دايمًا كلامك كان بيرن في وداني كدا وبخاف وأقلق. لما زهق من الزن عليَّ بطل يكلمني، بقيت بقلق عليه وأكلمه أنا، كان مرة يرد وعشرة لأ، لحد ما في مرة خرجت مع ماما نجيب حاجات للبيت وبالصدفة شوفته مع مروة ولما كلمته وقلت له اعترف، وقال لي إنه بيحبها علشان بتسمع كلامه، وبطل يحبني علشان مش بسمع الكلام.

حياة:

هي مش مروة مرتبطة بصاحبه؟!

دا كان زمان، ما سابوا بعض من فترة.

طب وأنت قلت له إيه لما قال لك كدا؟

قلت له: «بنات الناس مش لعبة وأنت ماتغيرتش زي ما كنت قايل لي عارف ليه! علشان أنت كداب. وشاطر إنك عرفت إن أنا متعبة ومش بسمع الكلام بدري، وفرت علينا كتير وفعلًا أنت ومروة لايقين على بعض جدا». بس كدا، وقفلت في وشه وقعدت أعيط، إزاي ماكنتش مصدقاكِ وماسمعتش كلامك! أنا بجد آسفة يا حياة، آسفة إني غلطت في حقك وبعدت عنك الفترة اللي فاتت علشان شخص مايستاهلش. هو السبب، كان دايمًا يقولي كلام سلبي عنك وإنك بتكرهيه ومش عايزة علاقتنا تنجح، وبتغيري مننا وعايزة توقعي بينا، بس أنا ماكنتش بصدقه وبصده وبفهمه قد إيه إحنا بنحب بعض، وإنك زي أختي وأكتر. أرجوكِ تسامحيني من قلبك، أنا غلطت غلطة كبيرة أوي لما وثقت فيه وبعدت عنك، وهو مايستاهلش أنت كان عندك حق في كل كلمة قلتيها، بجد الشهر دا كان أصعب شهر عدَّى عليَّ كنت محتاجة لك جانبي فيه أوي.

انهارت سارة بالبكاء فاحتضنتها حياة وهي تقول:

أنا مسامحاكِ طبعا يا هبلة أنت، إحنا مش هينفع نزعل من بعض مهما حصل والحمد لله إنك فهمتِ دا بدري ورجعتِ عن اللي كنتِ فيه واكتشفتِ حقيقته بنفسك، أنا كنت عارفة إنه بيكرهني بس ماكنتش أعرف إنه بجح أوي كدا، يالا الحمد لله إنك خلصتِ منه علي خير.

الحمد لله.

بقول لك إيه، مش هنضيع باقي الأجازة بقى، عايزين نعوض الشهر دا، اعملي حسابك هتباتي معايا النهاردا وفيه فيلم حلو أوي جاي لازم نتفرج عليه.

قشطا يا باشا وماما عاملة فشار هطلع أجيب وأنزلك حالًا.

ماشي ماتتأخريش.

عادت حياتنا مثلما كانت عليه، وعادت الصديقتان لبعضهما مرة أخرى، ولكن حدث شيء آخر مزعج كأن الحياة ترفض تجمعهما للأبد.

قبل مرور العطلة بأسبوع واحد، علمت بسفرها مع أهلها خارج البلاد، حيث جاءت فرصة عمل مناسبة لوالدها فقام بنقل أوراقها لمدرسة بالخارج حتي يستقر هو و أسرته. لم نتفارق لحظة في هذا الأسبوع لنودع بعضنا، كان من أحزن الأسابيع التي مرت علينا. لم أحزن هكذا أثناء ارتباطها بمحمد، نعم لم تكن معي وقتها ولكنها كانت بجانبي، أستطيع رؤيتها في أي وقت، وكنت أعلم أنه سيأتي وقت وتنتهي تلك القصة المزيفة، لكن عندما تسافر لن أستطيع رؤيتها مجددًا، ولا في أي وقت أريد، ولا أعلم في أي وقت ستعود، وهل ستعود مجددًا ونلتقي مرة أخرى أم أنتهت قصتنا إلى هذا الحد؟

أنا خلاص هسافر بكره.

هتوحشيني أوي يا سارة، مش عارفة هعمل إيه من غيرك.

أنت هتوحشيني أكتر يا حياة، ولا أنا كمان عارفة هعمل إيه، خصوصًا إن دا مكان جديد عليَّ ومش عارفة أي حد هناك.

خلي بالك من نفسك وحاولي ترجعي تاني.

حاضر، أنت كمان خلي بالك من نفسك وافتكريني دايما.

مستحيل أنساكِ يا صديقتي.

خدي العروسة دي علشان تفتكريني بيها.

وأنتِ كمان خدي العروسة دي علشان تفتكريني أنت كمان.

جاء موعد الطائرة، وذهبت حياة ووالديها معهم ليودعوهم، فكان الأباء والأمهات هم أيضًا أصدقاء.

قامت سارة بضم حياة إليها لتودِّعها الوداع الأخير، كانتا تبكيان لا تريد واحدة منهم الفراق أبدًا، ولكن كان للظروف رأيٌ آخر، وليس هناك ما يستطيعون فعله.

ذهبت سارة مثلما يذهب كل شيء جميل، عدت وحيدة كئيبة ومملة كما كنت قبل أن أتعرف عليها بالمدرسة. هي الوحيدة التي استطاعت أن تدخل عالمي الكئيب لتضفي بهجتها عليه وتشاركني جميع أشيائي التافهة قبل الجدية. كم أنا أحبها وأحب أيامي معها! وانتهت قصتنا هنا.

حكايتي مع سارة كانت طويلة إلي حد ما، حسنا فدعوني أخبركم بالسبب الآخر الذي جعلني أحب سارة أخت كمال؛ فالسبب الأول: أنها في بداية تعرفي عليها ذكرتني بصديقة طفولتي.

أما السبب الآخر: هو طيبة قلبها وصفاء روحها وخفة ظلها، هي حقًا إنسانة خلوقة وجميلة، تعطي ولا تأخذ، تساعد من يحتاجها دون مقابل، ولديها طفلة جميلة تشبهها؛ لذلك لديها معارف كثيرة من جميع المجالات، فهي شخصية اجتماعية إلى حدٍ كبير.

كنت أعيش تلك الأيام على أمل حدوث معجزة تلغي ذلك الزفاف، فكان كل شيء يترتب بسهولة وسرعة فائقة، لا أعلم لماذا ولكن أشعر دومًا أن هناك أمرًا ما لا أستطيع فهمه. فقط ما يجعلني مطمئنة أنني أعلم أن الله لا يفعل شيئًا إلا إذا كان به خيرًا، ربما يكون الخير في زواجي منه، دعونا نرى ماذا سيحدث بالنهاية.

جاء اليوم الأخير لي في بيت أبي، ولأخر لحظة كنت أود أن أهاتف كمال وأخبره بإنهاء ذلك الزواج ويحدث ما يحدث، ولكن عندما أمسك بالهاتف أتذكر أبي ومرضه، فأقوم بترك الهاتف وإلغاء تلك الفكرة. أجلس أمام فستان زفافي وأفكر: هل هذه هي النهاية؟ ألم تحدث تلك المعجزة التي أنتظرها بعد!

فأخذت أهدئ من نفسي قائلة: اطمئني يا حياة؛ فالله لا يفعل شيئًا إلا وكان خيرًا. فمن يعرف؟ ربما يكون كمال غير باقي الرجال! ربما يكون مختلفًا، يحبك ويسعدك ويكون زوجًا وأبًا مثاليًا، وتنجبين منه أطفالًا يملأون حياتك سعادة وأنتِ مطمئنة على حياتهم معكما وفي ظلالكما، وتعيشين حياة سعيدة ويكون ذلك عوضًا عما مر بحياتك السابقة.

بالفعل تلك الكلمات نجحت في تهدئتي شيئًا ما جاءت خبيرة التجميل لتضع لي مستحضرات التجميل على وجهي فهذا عملها وتخصصها، فهي صديقة سارة أيضًا.

ارتديت الفستان ووضعت مستحضرات التجميل على وجهي، ليس الكثير لأني أكره المبالغة في أي شيء، لا أستطيع وصف سعادة أبي وأمي عندما شاهدوني للمرة الأولي بالفستان الأبيض، كانت السعادة تتراقص في أعينهم، في هذه اللحظة شعرت بأنني أفعل أي شيء ولو كان شيئًا يسبب تعاستي أفعله فقط لأرى تلك السعادة بأعينهم.

انتهى حفل الزفاف على خير، فكان الكل سعيدًا ما عدا أهم شخص بالحفلة ذلك الشخص الذي تقام تلك الحفلة من أجله، وهو أنا.

كنت قلقة جدًا؛ فبعد ساعات قليلة سأعيش مع رجل غريب لا أعرف عنه الكثير،

فطوال الفترة الماضية لم نتحدث كثيرًا، لا أعلم ماذا يحب وماذا يكره، أشياء كثيرة لا أعلمها عنه ولا يعلم هو أيضًا عني الكثير، فسوف يكتشف كلٌّ منا الآخر.

كانت ليلة رائعة ومرضية لأبي وأمي، فالقاعة كانت مميزة بالفعل كما قالت سارة، والجميع كانوا سعداء ويتحدثون عن جمال القاعة وحجمها وعن جمال فستاني وطلّتي الرقيقة كالأميرات.

ذهبت أمي معنا لمنزلنا لتوصلني وتوصيني بأن أكون زوجة مطيعة وأسمع كلام زوجي، ولكنها لم تصعد معنا للبيت وذهبت بسيارة عم جمال لبيتها، ودخلت أنا وكمال بيتنا الجديد الذي اعتنيت به وبكل تفاصيله، فأنا أعشق التفاصيل، فكل شيء في البيت أضعه بعناية.

ظل كمال يلتزم الصمت، فدخلت غرفة النوم لأقوم بخلع فستاني الثقيل، وأغلقت الباب. إذ فجأة كمال يدق الباب ويستأذن للدخول قبل أن أفعل شيئًا سوى أن خلعت حذائي فقط، فأذنت له بالدخول وكان يبدو على وجه القلق والارتباك، يبدو أنه يريد قول شيء ما، لكنه صامت كعادته...

أنت عايز حاجة؟!

لكنه لا يزال ينظر إليَّ، فخرج عن صمته أخيرًا:

عاوز أتكلم معاكِ في حاجة مهمة.

ازداد قلقي؛ لِما يبدو عليه من جدية وارتباك في الوقت ذاته.

اتفضل أنا سمعاك...

كنا نقف بجانب السرير لكنه لم يجلس.

أنا... ثم صمت مرة أخري.

أنت إيه؟ كمل!

أنا أنا بحب واحدة تانية اسمها آية.

****

الفصل الرابع

شعرت وقتها وكأن العالم توقف بعد جملته الأخيرة القاتلة. نعم قاتلة، كأنه قتلني وطعنني في قلبي في أسعد أيام حياتي، أليس من المفترض أنه أسعد يوم؟ أليس هذا وقت الفرح الذي تنتظره كل بنت؟ لا أشعر بنفسي إلا وأنا أقع جالسة على السرير من الصدمة، ولم أنطق بشيء، فقط أحبس دموعي بداخلي.

فتابع...

أنا آسف بس ماكنش ينفع أخبي عليك، أنا مش حابب أخدعك أو أبدأ معاك حياة على الكدب، مش قادر أقول لك أي كلمة حب وأنا قلبي مع واحدة تانية، أنا بجد مش عارف أقول لك إيه.

التزمت الصمت كأنني فقدت النطق وقتها، لا أشعر بنفسي، لا أشعر بأي شيء حولي، فقط أستمع لطعناته لكلماته القاتلة، كل كلمة ينطقها كأنها بمثابة طعنة جديدة في قلبي، فهو يجرحني دون أن يشعر. أراد فقد أن يبرر موقفه حتى لا يكون خائنًا لا أكثر، لكنه لا يعرف أنه خائن بالفعل؛ لأنه أتم هذا الزواج بدون إخباري من البداية. كان لا بد أن يخبرني عندما تقدم لخطبتي وأنا أوافق أو أرفض فهذا حقي، لكن لا أعلم لمَ لمْ يخبرني بذلك من قبل! ولم أسأله؛ فأنا فاقدة للنطق في هذه اللحظة بعدما ران علَّ الصمت قليلًا، فلا يوجد شيء آخر يطعنني به، فتمالكت نفسي أخيرًا وقلت بدون أن أنظر إليه:

اطلع برة.

فاندهش من ردة فعلي وتسمَّر مكانه، فقلت مرة أخرى وأيضًا بدون النظر إليه فقط أنظر أمامي في غضب:

بقول لك اطلع برة.

فخرج من الغرفة، فقمت من مكاني وأغلقت باب الغرفة بمفتاحه، ولم أستطع حبس دموعي أكثر من هذا وكأن سيل من الدموع مخبأ بعيني، نهر من البكاء الشديد، أبكي وأنا أرتدي فستان زفافي أيعقل؟! هل هناك عروس تبكي بأول ليلة في بيتها وبفستان زفافها؟! فأنا لا أرى غيري أنا، أنا فقط، لماذا! لماذا يحدث معي هذا لماذا؟! ماذا فعلت في حياتي لأتزوج غصب من رجل لا يريدني؟!

من الليل أبكي حتى طلوع النهار، فإذ فجأة تذكرت أن أمي سوف تأتي لتُحضر الفطور، فكيف تراني هكذا ستكسر فرحتها وما ذنبها! أريد أن أحافظ على سعادتها؛ فأنا لم أرّها سعيدة في حياتها مثل هذه الأيام. نهضت من مكاني وقمت بتغيير ملابسي وغسلت وجهي، ولكن عيناي منتفختان! ماذا أفعل سوف تلاحظ أمي! فأخذت أضع القطرات لعيني كل فترة حتى تحسنت إلى حد ما.

من مميزات غرفه النوم، يوجد بها حمام وثلاجة صغيرة بها مياه وبعض الشيكولاتات، وبذلك أنا لا أحتاج للخروج من غرفتي إلا لأستقبل الضيوف فقط.

خرجت من غرفتي بعدما رتبت حالي لأستقبل أمي، وجدته نائمًا في غرفة الأطفال، فقلت في سري: ما هذا البرود! كيف تزوجت ذلك الحقير؟!

أخذت أحرك الأشياء حتى يستيقظ ولا تراه أمي نائمًا في تلك الغرفة، نجحت خطتي واستيقظ بالفعل وخرج من الغرفة وقال:

صباح الخير.

فلم أرد عليه ونظرت إليه في غضب وقلت:

أمي زمانها جاية دلوقتي علشان تجبلنا الفطار، مش عايزاها تحس إن فيه حاجة فاهم!

فأجاب بالموافقة كأن هذا ما يريده، وشعرت أنه استغرب لتماسكي هذا وأنني لم أطلب الطلاق أو أقوم بفضحه أمام أهلي وأهله، فطبيبة مثلي لن تتصرف أي تصرف إلا بحساب.

جاءت أمي وأطلقت الزغاريد وباركت لنا وسألتني: لماذا عيناك منتفختان، هل هذا من قلة النوم! فأجبتها:

آه فعلا أنا تعبت كتير امبارح ومش نايمة كويس. فضحكت وسألتها عن أبي.

كان عايز يجي معايا علشان يشوفك وحشتيه أوي ومش عارف ينام من امبارح وأنت مش في البيت.

كنت على وشك البكاء وأنا أقول لها:

هو كمان وحشني أوي، يا ريتني ما سبتكم، أنتم وحشتوني أوي.

فضحكت وقالت:

أنت لحقتِ؟ يلا أنا يا دوب أمشي بقى.

خليكي قاعدة معايا شوية.

لا كفاية كدا أنتم لسه عرسان علشان مابقاش عزول.

فقلت في سري: عرسان!

ثم سلمت علينا وخرجت. أما كمال كعادته لم يتحدث كثيرًا، فقمت أنا بالدخول لغرفتي وأغلقت بابها جيدًا بالمفتاح، ودخلت إلى فراشي ولكن لم أنم؛ أشعر أن كل ما حدث بالأمس كان كابوسًا وسوف أستيقظ منه، لا أصدق أن في الساعات القليلة حدث كل هذا وأفكر: ماذا يحدث بعد ذلك؟ هل سوف أستمر في هذا الزواج الفاشل من البداية أم أنهيه من قبل أن يبدأ من الأساس؟! ظللت أفكر حتى أنهكني التعب وغلب علي النعاس فأنا لم أنم منذ يومين.

استيقظت على صلاة العصر فقمت ودخلت حمام غرفتي، غسلت وجهي وأسناني وتوضأت لأصلي ما فاتني وهي صلاة الظهر، وأصلي صلاة العصر في وقتها.

لم أشعر بالجوع مطلقًا وإذا شعرت به سوف أتناول واحدة من أحد الشيكولاتات التي بثلاجة غرفتي. أغلقت هاتفي، فأنا لا أريد التحدث مع أحد، خصوصًا وأنا أبكي، فكنت أبكي طوال اليوم على ما حدث بالأمس، فعقلي يأبى أن يصدق وقلبي لم يشفَ من الطعنات بعد.

مرَّ أول يوم وأنا بغرفتي، لم أخرج منها إلا لمقابلة أمي؛ فقلق كمال خشية أن يكون حدث لي مكروه أو أكون قد قمت بالانتحار مثلًا؛ لأن كمال باشا لا يحبني، الفتى الخارق في عيون آية حبيبته.

فأجبته:

أنا بخير.

أجبته بذلك؛ حتى يطمئن ويكف عن إزعاجي بسؤاله، فقال:

إحنا لازم نتكلم مش هينفع تفضلي حابسه نفسك كدا.

فلم أجيبه، فتابع:

هترجعي تاني ساكتة؟ أهلك بيكلموكِ عايزين يطمنوا عليكِ وبقول لهم إنك نايمة ومش معقول نايمة كل ما يتصلوا، وهيبدأوا يشكوا؛ خصوصًا إنك قافلة تليفونك وبقول لهم ممكن مش موجود شبكة، يا ريت تبقي تكلميهم تطمنيهم عليكِ.

فقمت بفتح هاتفي لأجد خمسة وخمسين مكالمة من أبي وأمي، فهاتفت أمي ويقينا جعلتها بكلامي مطمئنة قريرة العين، ثم تحدثت مع أبي واطمئن علي وأنا كذلك، وقال لي:

أنا بعد الأسبوع دا بفارغ الصبر علشان أشوفك بقى، وحشتيني أوي يا قلب بابا.

فتعجبت وقلت له:

أنت كمان وحشتني، بس أسبوع إيه اللي بتعده مش فاهمة، ما تيجي فأي وقت اشمعنا أسبوع.

علشان بعد أسبوع هيكون سبوعك يا عروسة، أنت ناسية ولا إيه؟

فقلت في سري:

يا نهار أبيض، دا أنا ناسيه خالص وهعمل إيه في السبوع دا كمان!

ثم أجبت على أبي:

آه، لا إزاي أنسى، طبعًا إن شاء الله على خير، بس برده أنت تقدر تيجي فأي وقت ولا تحب أنا أجي لك.

لا مش هينفع تيجي دلوقتي، مش من أولها كدا هاخدك من جوزك ربنا يسعدكم يا حبيبتي.

فقلت في سري: جوزي!

يارب.

وأنهينا المكالمة.

فتحدثت إلى نفسي بصوت غير مسموع: أنا إزاي كنت ناسيه موضوع السبوع دا، يا نهار أبيض هعمل إيه! سبوع يعني أهلي وأهله، يعني الناس كلها جايه وأنا أصلا مش عارفة هعمل إيه معاه! هكمل ولا لأ، وهفضل كاتمه ومخبية عن كل الناس كدا كتير؟ ثم قلت:

اهدي يا حياة لسه ٦ أيام تفكري فيهم براحتك.

وأكملت باقي اليوم في غرفتي، فلم أخرج منها أيضًا.

في اليوم التالي، دق كمال باب غرفتي وحدثني من وراء الباب:

مهو مش معقول هتفضلي حابسة نفسك كدا من غير أكل، على الأقل اطلعي كلي وأنا مش هضايقك، لو مش عايزه تشوفيني ولا تكلميني هدخل أوضتي لحد ما تخلصي أكل، بس اطلعي كلي بس.

أنا مش جعانة ولا اشتكيت لك وماتشغلش بالك بيَّ، أنا كويسة. ثم تابعت بسخرية:

كتر خيرك يا بشمهندس كمال.

أنا قلت إنك اشتكيتِ؟ بس مافيش إنسان طبيعي بيقعد كل دا من غير أكل، أنت كدا ممكن يحصل لك حاجة.

أنت نسيت إني دكتورة وأعرف أخلي بالي من نفسي كويس! قلت لك ماتشغلش بالك يا بشمهندس.

هو لا يعرف أنني أتناول كل يوم قطعة شيكولاتة، ليس لأني جائعة، بل أتناولها فقط حتى لا يحدث لي أي مضاعفات. وأكملت يومي في غرفتي كعادتي، لم أخرج منها حتى جُنَّ كمال خوفًا من أن يحدث لي مكروه ويشعر أنه سببًا في ذلك.

هاتَفتني سارة في ذلك اليوم، فأجبتها بشكلٍ طبيعي، ثم هاتفتني السيدة فاطمة ليطمئنوا علينا، فلم أخبر أحدًا منهم بشيء، تعاملت وكأن لم يحدث شيئًا، فطلبت السيدة فاطمة أن أعطيها كمال لتطمئن عليه، فتحججت بأنه في دورة المياه، فقالت سوف تهاتفه بعد قليل وأنهيت معاها المكالمة في سلام.

مرَّت ثلاثة أيام ولم أخرج من غرفتي، أظل أفكر وأبكي، وأفكر وأبكي، وأتذكر ما حدث، ولا أفعل شيئًا آخر حتى يغلبني النوم.

وفي اليوم الرابع استيقظت، وبعد أن أخذت حمامي الصباحي ومشَّطتُ شعري تناولت قطعة شيكولاتة، وقمت بفتح هاتفي لأرى إذا هاتفني أحد أم لا، فمثل كل مرة بالطبع إنهم أمي وأبي، ولكن هذه المرة وجدت أيضًا زملائي بالعمل. أنا لا أستطيع تحمل مباركتهم التي لا تكون في محلها، ولكن وأنا أمسك الهاتف إذا بزميلتي تعاود الاتصال بي، فقمت بالرَّد عليها؛ حتى لا أشعر أنني حقيرة معهم لتلك الدرجة. هم لا يعرفون شيئًا، ويريدون تأديه الواجب لا أكثر، فقامت زميلتي

بمباركتي وتمنت لي حياة سعيدة، وأعطت الهاتف لزملائنا، شخصًا تلو الآخر، جميعهم قاموا بنفس الشيء.

انتهيت تلك المكالمة وشعرت أن شيئًا كبيرًا قد أُزيل من على صدري، وقمت بعدها بالاتصال بأبي وأمي، ثم قررت الخروج من غرفتي وشجَّعتُ نفسي لأخذ هذه الخُطوة وأنا أقول لنفسي:

ماهو مش هينفع أفضل في الأوضة كدا كتير، لازم أخرج وأواجهه علشان نعرف هنتصرف إزاي، هي مواجهة ولا بد منها بقى هعمل إيه؟ يالا أنت أدها يا حياة أسد يالا في إيه!

نجحت محاولتي لإقناع نفسي، وخرجت من الغرفة على الفور لأجده في غرفته غرفة الأطفال، يتحدث في الهاتف بصوت مسموع، حيث كنت أسمعه بدون أن أقف بجانب الغرفة وهو يقول:

يا حبيبتي أعمل إيه تاني علشان أرضيكي؟ ما أنا عملت كل اللي قلتِ لي عليه، وأهي من ساعتها مش بتخرج من الأوضة وحابسة نفسها ومش بتاكل، أنا خايف يحصل حاجة بسببي، وزي ما طلبتِ مني كل واحد فينا بينام في أوضة لوحده، هي عملت كدا من نفسها أصلا ماتقلقيش هي مش طيقاني أنا أهم حاجة عندي أنت. أنت عارفة أنا بحبك قد إيه وماقدرش أستغنى عنك يا حياتي. حاضر هحاول أنزل وأشوفك علشان وحشتيني أوي.

كنت أسمعه وأنا في منتصف صالة المنزل، شعرت وقتها وكأن قدمي توقفت عن الحركة، ولكن عندما أنهى المكالمة وشعرت أنه على وشك الخروج من الغرفة

ركضت مسرعة لغرفتي وأغلقت بابي جيدًا؛ حتى لا يشعر أنني سمعته، بل لا يشعر أنني خرجت من غرفتي من الأساس.

انهرت في البكاء الشديد، فكانت مكالمته بمثابة صدمة جديدة تصيبني. ألم تنتهِ تلك الصدمات بعد؟ مع كل صدمة أشعر وكأنها نهاية العالم، ولم يأتِ شيءٌ أصعبَ من ذلك، ولكن تدور الأيام وتأتي صدمات أصعب وأصعب ويتمزق قلبي أكثر وأكثر. ألهذه الدرجة لا أعني له أي شيء؟! إذًا لماذا وافق على الزواج بي؟!

في هذة اللحظة علِمتُ وتيقَّنتُ أنني لا يمكنني أن أُكمِل حياتي مع هذا الشخص الخائن. مستحيل، لن أسامحه طوال حياتي، ولن أغفر له ما فعله معي؛ فأنا لا أستحق منه ذلك. كلُّ ما فعلته أنني وثقت به وأرغمت نفسي علي الزواج منه دون رضا. يجب أن يخرج من حياتي للأبد ومهما حدث، ثم تذكرت إصرارَ أبي وأمي على الزواج منه ومعاندتني وغصبي عليه، أهذا الشخص الذي غصبتوني عليه؟ أتعلمون ماذا يفعل بي الآن؟ أتعلمون كيف تدمرت وأنا معه؟ أتعلمون أن أسعد أيامي تحولت لأسوأها؟! وكلُّ هذا بسبب استعجالكم على هذا الزواج وإكراهي عليه دون أن تستمعوا لي. لمَ فعلتم هذا بي؟ لمَ؟!

جاء اليومُ الخامس، ولا يوجد وقت. يقترب موعد السبوع، فخرجت من غرفتي لأنهي ذلك الموضوع أو أتوصَّلُ إلى حل دون أن يحدث خسائر؛ حتى لا أكسر قلب والديَّ مثلما انكسر قلبي، لا أريد أن يذوقوا من نفس الكأس. وجدتُه يجلس يشاهد التلفاز، نعم إنه لا يبالي! عندما رآني؛ اندهش وتعجَّب من خروجي من الغرفة وبسعادة قال:

ياه! أخيرًا خرجتِ؟ كفارة يا شيخة. أنت كويسه؟

كنت أنظر إليه في غضب ولم أرد على سؤاله، جلست وقلت:

طبعا أنت عارف إن المفروض السبوع قرب.

سبوع إيه!

معاك حق تسأل، ما هو ماكانش فيه فرح أصلًا علشان يبقى فيه سبوع. المهم المفروض إنه سبوع جوازنا.

ظهرت على وجهه علامات التذكر، يبدو أنه ينسي ذلك الموضوع مثلي، فأبي من ذكرني وأنا من ذكرته.

آه صحيح، أنا إزاي نسيت حاجة زي دي ودا هيبقى امتى؟

كمان حوالي ٣ أو ٤ أيام.

طيب المفروض نعمل إيه؟

صمتت قليلًا ثم قلت:

مش عارفة.. أنا عايزه أتطلق.

كان يتوقع هذا الطلب مني؛ فلم يندهش أو يتعجب.

مش هينفع دلوقتي.

فقلت في سري: يعني ماعندكش مانع! المشكله في الوقت بس! للدرجة دي بايعني؟

ثم قلت له:

ليه مش هينفع دلوقتي!

علشان إحنا لسه متجوزين مالحقناش، أخاف على سمعتك الناس مش هتسيبك في حالك ومش عايز أأذيكي أكتر من كدا، ماهو حرام أأذيكي في الجواز والطلاق... أنا ماحدش هيتكلم عليَّ، عادي أتجوز وأطلق لكن أنت صدقيني ماحدش هيسيبك في حالك ومش بعيد يظنوا بيكي ظن سيئ.

معاك حق مجتمع ذكوري عقيم.

فضحك ثم قال:

أنا آسف عارف إني كنت ندل وحقير أوي معاكِ.

لا ماكنتش ندل وحقير، أنت كنت أكتر من كدا.

عندك حق تقولي وتعملي اللي أنت عايزاه.

أنت ليه خبيت علي دا قبل الجواز، كان ممكن أنا أمنعه لو أنت مش عارف عارف تمنعه، وليه أصلا اتجوزتني وأنت مش بتحبني وبتحب واحدة تانية؟

حاولت أقول لك بس ماقدرتش، فاكرة يوم ما جيت لك المستشفى علشان آخد رقمك؟

آه فاكرة كنا أول مرة نتكلم.

أيوة اليوم دا كنت جاي وناوي أعترف لك وأقول لك على كل حاجة، بس ماقدرتش ورجعت في كلامي في آخر لحظة بعدما كنت خلاص هقول لك وعملت حكاية الرقم دي حجة، أما بقى ليه اتجوزتك وأنا مش بحبك؛ علشان يا

ستي بابا مش راضي إني أتجوز آية، وصمم على جوازي منك، حاولت أقنعه إني بحب آية بس هو صمم أكتر وغصب عليَّ وإلا هيحرمني من الميراث، وأنا برده رفضت وسيبت البيت فهو تعب وحالته الصحية اتدهورت؛ فاضطريت أوافق علشان مش عاوز يحصل له حاجة بسببي.

فضحكت بسخرية؛ فتعجب وسألني لمَ أضحك، قلت:

أنت عارف إن أنا كمان مغصوبه عليك.

فتعجب، تابعت كلامي قائلة:

آه والله تقريبًا نفس القصة، بس من غير موضوع الميراث دا. لما رفضتك وأصريت على رفضي بابا تعب مننا والدكتورة قالت لنا إن الزعل فيه خطورة على حياته؛ علشان كدا اضطريت أوافق عليك.

علشان كدا بقى وأنا أقول هي إزاي راضية تتجوزني بالسرعة دي ومن غير ما تعرف عني حاجة.

ما هو اللي مايعرفش يقول عدس.

فضحك وقال:

عندك حق.

علشان كدا اتأخرتوا أسبوع على ما جيتم تتقدموا؟

أيوه في الأسبوع دا بقى اللي سيبت البيت فيه وبابا تعب.

طب ليه برده خبيت؟ لما الرفض يكون مني ساعتها بابك ماكنش زعل منك.

ما أنا أكيد لو كنت قلت لك كنتِ هترفضي تكملي الجواز وبابا كان هيعرف إن أنا السبب؛ فكان هيزعل مني برده. وجايز كان يتعب تاني ودا اللي فكرت فيه وأنا عندك في المستشفى.

طب ولما كلمتني علشان العفش، بابك طبعًا اللي غصب عليك تكلمني.

أيوه، كل مرة كنت بكلمك فيها كان بيبقى هو اللي قايل لي.

للدرجة دي مكالمتي كانت تقيلة على قلبك؟

لا طبعًا، التقيل هو إني مجبر عليها مش أكتر.

عندك حق، أنا ماكنتش طايقاك، بس ماكنتش بكرهك ولا بحبك، لكن أنت ما شاء الله عرفت من أول ثانيه تخليني أكرهك أوي، أنا ماكرهتش حد أدك في حياتي.

لسه بتكرهيني بعد ما حكيت لك كل حاجة؟

آه، أنت مش عارف أنت عملت فيَّ إيه، مهما حاولت مش هتحس باللي أنا حسيت بيه... المهم خلينا نتفق هنعمل إيه.

ما أنا قلت لك، هتضطري تكملي معايا على الأقل سنه علشان ماحدش يتكلم عليك.

سنة؟!

أيوة طبعًا أمال أنت فاكره إيه؟

لا سنه كتير أوي، طب قول كام شهر حتى.

أنت حرة... اللي أنت عايزاه هعمله لك.

طب وبالنسبه للسبوع، أنا شايفه إننا نتصرف فيه عادي علشان ماحدش ياخد باله، إحنا الاتنين خايفين على أهلنا ومش عايزين نسرق فرحتهم بينا.

أيوه عندك حق، خلاص هنتصرف عادي وربنا يقدرنا. أنت بس أوعي يبان عليك حاجة أو تضعفي وتحكي لحد.

لا ماتخافش أنت لسه ماتعرفنيش.

ماشي يا ستي لما نشوف.

فقمت لأدخل غرفتي، صوته من خلفي يقول:

إيه دا بالسرعة دي؟ خليكي قاعدة معايا شوية أنت مالحقتيش.

نظرتُ له نظرة تعجب يصحبها سخرية وقلت بصوت منخفض وأنا في طريقي لغرفتي: أقعد معاك ليه! أنت هتتصاحب عليَّ؟ إيه البجاحة دي ماشوفتش كدا!

دخلت غرفتي على الفور وأنا أسمع ضحكاته وهو يقول:

عندك حق، إيه البجاحة بتاعتي دي بس أنا حسيت إني أعرفك من زمان وارتحت في الكلام معاكِ أوي. طب مش هتقولي تصبح علي خير طيب!

فلم أرد عليه فتابع:

ماشي يا ستي وأنت من أهل الخير.

****

الفصل الخامس

بتُّ أفكر طوال الليل في حديثنا وفي نظراته لي عندما خرجت عليه، كأنه تعجَّب من رؤيتي بملابس البيت وبشعري، فكانت تلك المرة الثانية التي يراني بها هكذا بعد رؤيته لي عند قدوم أمي في الصباحية، فكان ينظر إليَّ نفس النظرات وقتها، وهذه أيضًا تعتبر المرة الأولى التي نتحدث بها مع بعضنا بصراحة ولوقتٍ طويل. ثم استغرقتُ في النوم حتى صباح اليوم التالي. استيقظت، وبعد حمامي الصباحي، وتمشيط شعري، وقضاء الصلاة والورد اليومي للقرآن الكريم، خرجت من غرفتي للفطور، فذلك أول فطور لي في بيتي الجديد منذ يوم زفافي. خمس أيام لم أتناول بهم أي فطور أو غداء أو حتى العشاء، فقط أتناول قطع الشيكولاته فكانت هي بمثابه فطوري وغدائي وعشائي.

دخلت مطبخي لأرى ما به، فكان هناك الكثير من الطعام من المتضح أن كمال لم يتناول إلا القليل منه. قمت بتحضير الفطور والقهوة الخاصة بي التي اعتدت على تناولها صباحًا في بيت أبي، وأخذتهم إلى غرفتي بعد أن أنهيت فطوري وشربت القهوة، مع قراءة كتاب من مكتبتي الصغيرة التي لا أتنقل بدونها؛ فهي صديقتي الوحيدة التي ترافقني بكل مكان أذهب إليه، ترافقني بالرحلات والمصايف، وبالطبع رافقتني في بيت الزوجية، دعونا نسميه بيت الزوجيه المؤقت.

فقد صدق من قال: «الكتاب خيرٌ من ألفِ صديق» فالكتاب هو صديقك الوفي الذي لا يتخلى عنك أبدًا في أيِّ وقت تحتاجه تجده. ثم خرجت وغسلت أطباق فطوري وفنجان القهوة اللذيذ، وقمت بترتيب المنزل الذي أهمله كمال في الأيام

السابقة. خرج وأنا أعمل، فوقف ينظر إليَّ كأنه لا يُصدِّق ما يراه، فلا أعطيه أيَّ اهتمامٍ ولا أهتم لنظراته وكأنني لا أراه مطلقًا. فقال بعد بضعة دقائق:

أنا مش مصدق نفسي بجد، يعني أشوفك امبارح والنهاردا مرتين ورا بعض كدا! لا دا كتير عليَّ.

لم أهتم له أيضًا، فتابع:

طب إيه مافيش صباح الخير؟ يعني لا تصبح على خير امبارح ولا صباح الخير النهاردا!

أنت اللي لسه صاحي المفروض أنت اللي تقول.

يا صباح الخير، يا صباح الورد، صباح الجمال.

تعجبت من كلامه! يتحدث معي وكأنه لم يفعل بي شيئًا، قلت له:

صباح الخير.

وكانت صباح الخير بعدم اهتمام، من باب الواجب لا من باب الرغبة. دخل ليغسل وجهه وتابعت أنا عملي، وبعد أن أنتهيت وكدت أن أدخل غرفتي قال:

طب إيه مش هتفطري ولا لسه حالة الصيام دي مستمرة؟

فنظرت إليه نظرة استهزاء وقلت:

أنا فطرت.

ثم دخلت غرفتي، فتابع هو وقال:

إيه دا بجد مش معقول! أخيرًا يا بنتي! كويس إنك لسه عايشة لحد دلوقتي. يعني هفطر لوحدي زي كل يوم؟ ماشي بس كويس عقبال ما نفطر سوا إن شاء الله.

بدأت أتحدث مع نفسي سرًا: لماذا يتحدث هكذا؟! يتحدث وكأن شيئًا لم يكن! أمره عجيب، هل يحاول استفزازي؟ ولمَ لا أظن أنه من الممكن عندما أخرَج ما بداخله وقال لي على كل شيء أحس بالراحة وبدأ يتصرف على طبيعته غير مهتم لما فعل؟! كل ما يهمه أنه أخرج ما بداخله ليُبرِّأ نفسَه ويزيل هم ضميره. بعد قليل، دق كمال باب غرفتي وهو يقول:

حاضر يا ماما، هتكلمك لحظة، حياة ماما عايزه تكلمك.

خرجتُ وحدثتُها، وكان كمال ينظر إلي ويستمع لحديثنا.

أيوة، الحمد لله كويسين... إيه؟ آه كويس. لا هيضايقني إزاي؟ أكيد لو عمل حاجة هقول لك حاضر.

بعدما استمع لهذه الجملة، نظر في الأرض خجلًا. وبعد الانتهاء من المكالمة، قال:

أنتِ جدعة ومش عايزة تفضحيني قدام أهلي ولا مش عايزة تفضحي نفسك؟

فنطرت له وقلت:

مش هستفاد حاجة لو قلت لهم، خليهم فرحانين بينا شوية، ماهو حرام ننكد عليهم معانا كفاية إحنا.

ياه! للدرجة دي خايفة على زعل أهلك وأهلي؟ للدرجة دي بتحبيهم حتى لو هتكتمي في قلبك و...

ثم قطعته:

معلش أنا عذراك، أصلك ماجربتش تحب من قلبك، ماتعرفش يعني إيه تضحي علشان خاطر ماتأذيش مشاعر اللي بتحبهم. أصل اللي جرب الوجع وعارف قد إيه هو بيوجع مستحيل يكون السبب في وجع حد و خصوصًا لو بيحبه.

أثَّرت كلماتي في كمال، فسكت ولم يستطِع الرد، وكان على وجهه علامات التفكير والندم لما فعله معي. وأنه كان السبب في الوجع الأكبر بحياتي... ليت كمال لم يدخل حياتي من الأساس.

كانت مكالمة والدته سببها أن تذكرنا بتحضير اللازم لاستقبال الضيوف، وهم أقارب كمال سيأتون بعد الغد، بالفعل في اليوم التالي بعدما انتهينا من الغداء؛ حيث كنت أقوم بتحضير الغداء اليوم وأمس، وكلّ منا يأكل بمفرده، أنا في غرفتي وهو لا أعلم. لم أرَه وهو يأكل، ربما في غرفته وربما في الصالون، لا يهمني.

قام كمال وارتدى ملابسه، وأخبرني أنه سوف يخرج لإحضار متطلبات السبوع، وسألني إذا كنت أريد شيئًا من الخارج؛ فأجبت: لا شكرًا.

خرج وأتى بعد ساعة واحدة، وأحضر كل ما نحتاجه وأكثر. وفوجئت به يُعطيني صندوقًا به حَلوى وشيكولاتة، قلت له:

إيه دا؟

دي حاجة بسيطة كدا جيبها لك أنت، أكيد بتحبي الحاجات دي.

آه، بس أنا قلت لك مش عايزة حاجة. أنت فاكر إنك كدا هتصالحني بحلويات!

لا أنا ماجبتهوش علشان أصالحك، أنا أول ما عدِّيت على السوبر ماركت افتكرتك ودخلت جبتهم مخصوص علشانك.

كتر خيرك يا بشمهندس، تعبت نفسك، شكرًا مش عايزة حاجة.

العفو، على إيه بس! أرجوكِ خديهم هما بتوعك وجاين باسمك، ماتحسسنيش إني وحش أوي كدا ومش طايقة مني أي حاجة للدرجة.

ترك الكيس أمامي ودخل غرفته ليبدل ملابسه، شعرت وقتها أنني قد أحرجته بما يكفي، ولكن حقيقة لا أريد منه أي شيء.

عندما خرج قلت له:

بس دا كتير أوي، مش هقدر أكله لوحدي، كُل معايا.

فرح بكلامي وقال:

ليه؟ كلي براحتك. أنا مش جايبه لك علشان أكله منك.

ضحك، فضحكت أنا الأخرى وقلت:

أنا اللي بقول لك كُل معايا، ماتخافش خلصه براحتك ما أنت اللي جايبه.

أنتِ اللي جبتيه لنفسك.

أخذ الكيس وبدأ يتناول منه ويناولني منه، فتناولت القليل.

فيه فيلم جاي النهاردا حلو أوي، إيه رأيك نتفرج عليه سوا؟

لا، اتفرج أنت، أنا بحب أنام بدري.

اسهري النهاردا، دا لكريستيان بيل...

لا النوم أهم، إيه كريستان بيل! دا بجد ولا بتشتغلني؟ فأجاب وهو يضحك:

لا بجد، ها هتنامي!

لا طبعًا، هتفرج نوم إيه بس.

بتحبيه أوي كدا؟

لا طبعًا، أكتر من كدا.

فضحك وقال:

يا بخته... إحنا لازم نحضر للقعدة بقى.

نظرت بخجل وتعجب في الوقت ذاته وقمت بالرد عليه:

نحضر إيه يعني!

يعني نجيب حاجة نتسلى فيها.

آه، طيب فيه عصير ومكسرات، وماتنساش الحلويات اللي أنت جبتها.

تقصدي اللي أنا أكلت نصها دي.

فأجبت وأنا أضحك:

أيوة بالظبط هي دي.

جاء موعد بداية الفيلم، وقام كمال بتحضير العصير والمكسرات، وكان معنا بعض الحلويات المتبقية. جلسنا لنشاهد الفيلم. بالفعل هو فيلم جديد لممثلي

المفضل (كريستيان بيل).

كان كل تركيزي مع الفيلم حتى لم أتناول الكثير من الحلوى، أما هو فكان ينظر إليَّ من وقت لآخر، يتعجب من انتباهي الشديد للفيلم ويتناول الحلوى، حتى أنني لم أجد ما أتناوله بعد نهاية الفيلم. حقًّا كان فيلمًا رائعًا كعادة العظيم كريستيان بيل.

كنت على وشك الدخول لغرفتي لأنام.

كمال:

كنت عايز أقول لك حاجة.

اتفضل.

إيه رأيك لو بقينا صحاب؟ يعني علشان نعرف نعيش مع بعض السنة دي كويس. أنا عارف إننا مش هينفع نكون غير صحاب؛ فعلشان كدا لازم نبقى متفقين على كل حاجة. أنا ارتحت لك جدًا، وحاسس إننا هنبقى صحاب.

لم أعرف كيف أجيبه، هل بنعم أم لا! كنت في حيرة شديده وقتها، وأجبته:

مش عارفة، مش هقدر أوعدك، بس هحاول. تصبح علي خير.

وأنتِ من أهله.

دخلت غرفتي، وكعادتي أفكر وأحدث نفسي قبل النوم:

هل فعلًا هينفع نكون صحاب؟ هو علشان اتفرجت معاه على الفيلم خلاص هيصاحبني! لولا إن الفيلم كان ل(كريستيان بيل) ماكنش اتفرجت معاه ولاعبرته.

إزاي هنبقي صحاب بعد اللي عمله معايا؟ إزاي بعد ماكرهته الكره دا! آه هو معاملته دلوقتي كويسة، بس دا مش هيمسح الذكريات المؤلمة اللي هو سبب فيها.

نظرتُ في الساعة، فوجدت أن الوقت قد تأخَّر ويجب أن أنام لأستيقظ مبكرًا؛ لترتيب البيت واستقبال الضيوف غدًا.

جاء موعد استقبال الضيوف، ارتديت فستانًا جديدًا من فساتيني التي اشتريتها للزواج، مع القليل من مساحيق التجميل حتى لا تغضب عليَّ أمي كما يحدث في كل مناسبة اجتماعية. جاءت أمي أول شخص، ومثل ما حدث في يوم الصباحية؛ دخلت وهي تطلق الزغاريد، وكمال يضحك على خلاف المرة السابقة كان يلتزم الصمت، أما أنا فكنت أبتسم وأشاهدهم في صمت؟

كم هو إحساسٌ ممتع أن ترى الفرحة في عين من تحب، فتلك الفرحة اللي أراها في عين أمي جعلتني أنسى كل الوجع الذي شعرت به في الأيام السابقة.

بعد قليل جاءت السيدة فاطمة وسارة، وبالطبع معهم لارا طفلتي الجميلة التي اشتقت إليها كثيرًا، فكان اشتياقي لها هذه المرة أكثر من ذي قبل؛ لأنني لم أرَ أيَّ طفل خلال الأيام السابقة بعد أن تعوددت على رؤيتهم كل يوم في العمل. العمل الذي لم أستطع الرجوع إليه مجددًا كما أمرني أبي، فقبل الزواج طلب عم جمال من أبي أن أتقاعد عن العمل، فمرتب كمال يكفينا لنعيش في حال جيد؛ فلماذا أعمل؟ وأقتنع أبي وأمرني أن أترك العمل، رفضت في بداية الأمر، لكن أبي أصرَّ فلا يريد أن يخلف وعده مع عم جمال، وازداد تعصبه فخشيت أن يحدث له مكروه؛ فاضطررت أن أوافق رَغمًا عني مثل كل مرة أتنازل عن أشياء أحبها من أجل إرضاء أبي.

مرَّ اليوم الأول على خير، فجاء الضيوف وكانوا سعداء بالضيافة، وأبدوا إعجابهم بي وببيتي وبفستاني الجديد، ولكن حدث شيء أزعجني حيث طلب ابن عم كمال أن يلتقط لنا صورة جماعية، فلم أكن أرغب في أخذ تلك الصورة، ولكن لا أستطيع الرفض؛ حيث أن الجميع وافقوا واستعدوا لأخذ الصورة، فوقفت بجانب سارة و لارا، وكمال كان بجانب السيدة فاطمة قبل أخذ الصورة بثواني.

وإذا بابن عم كمال يقول:

لا يا جماعة، ماينفعش كدا، لازم العرايس يبقوا جنب بعض، يلا ياكمال اقف جنب عروستك.

فجاء ليقف بجانبي وفي عينيه تساؤلات: هل سأفعل شيئًا ما أم أسكت؟

و لكن هذا لم يعجب ابن عمه، فقد طلب منه طلب آخر أسخف من الذي قبله وقال: إيه دا أنت هتقف كدا! اعمل أي منظر، حط إيدك عليها أو احضنها يا عم، دا أنتم عرسان ولا أنت مكسوف مننا.

في هذه اللحظة كنت أود أن أتركهم وأدخل غرفتي.

دا إيه الرخامة دي! أيوة هو مش فاهم حاجة، وأي عرسان تانين كانوا فرحوا بكلامه أو كانوا اتصرفوا كدا من غير ما حد يطلب منهم، بس إحنا مش زي أي عرسان إحنا مختلفين.

فقلتُ قبل أن يضع كمال يده علي ويحتضنني:

ما تخلصنا بقى إيه الأفورة دي؟

فضحك الجميع وقال كمال: يا عم يالا هنقعد سنة في الصورة!

وأخيرًا انتهت تلك الصورة المتعبة، فقد حاولت أن أبتسم بها لكي لا يلاحظ أحد شيئًا.

كنت معظم الوقت جالسة مع لارا نلعب سويًا ونضحك، فكان الجميع ينظرون إلينا أنا ولارا ويرون العلاقة القوية التي صارت بيننا، فهي طوال الوقت تريد أن تلعب معي وترفض سارة حتى لا تزعجنا. الأمر الآخر الذي أزعجني هو جملة السيدة فاطمة وهي تشاهدني ألعب مع لارا:

عقبال ما تلعبي مع عيالك يا حبيبتي، يالا شدي حيلك عايزين نفرح قريب.

كنت لا أدري بأي قول يكن الجواب! فلم أقل غير: «إن شاء الله» مع ابتسامة صغيرة مصحوبة بالألم والحسرة.

فهي ضغطت على نقطة ضعفي، كنت على وشك فقد بنات عيني وقتها، ولكن لارا فعلت شيئًا أضحكني؛ فنسيت وقتها وأكملتُ لعبَ معها، وحينما جاء وقتُ مغادرتِهم أَمسَكَتْ لارا بي وأرادت أن تبقى معي، وأنا أيضا كنتُ أودُّ ذلك، فظلت تضغط على سارة لتتركها معي، لكن سارة رفضت وبشدة حتى رأتني أنا أيضًا أتمسك بها وأريد بقاءها؛ فاضطرَّت أن توافقَ بعدما أصرَّ كمال معنا، لا أعلم ما وراء إصرار كمال على بقاء لارا، هل لتعلّقي بها فأراد أن يفعل شيئًا يُسعدني أم لأنه يحب لارا و يريد هو أيضا بقاءها؟

ودار الحوار بين سارة وحياة، فقالت سارة:

خلاص هسيبك النهاردا، بس هاجي بكره أخدك.

تعالي بكره أهلًا وسهلًا، بس لارا مش هتمشي بكره كدا مش هنلحق نقعد مع بعض سبيها يومين.

لا يومين كتير أوي، مش هينفع أنتم لسه عرايس.

وأنا العروسة وأنا اللي بطلب منك كدا وأهو العريس اسأليه.

فكنت أتحدث بثقةٍ انتابتني عندما رأيت إصرارَ كمال معي وموافقته رأيي.

فقال كمال: «أيوة العريس بيقولك سيبيها يومين أو تلاتة كمان، دا بيت خالها يعني بيتها وهنحطها في عينينا ماتخافيش عليها يا سارة».

فرحتُ جدًا بكلام كمال ولأول مرة يفعل شيء يسعدني حقًا. وفرحت سارة أيضًا بحبنا وتعلقنا ببنتها، ووافقت ثم غادروا وتركوا لي لارا الجميلة.

قمت بتحضير العشاء، وكانت تلك المرة الأولى التي أتناول فيها العشاء مع كمال على سفرة واحدة، فكانت لارا هي السبب في تجمعنا، ولم يكن العشاء فقط بل كانت كل وجبات اليوم. أما النوم فكانت لارا تنام معي في غرفتي وفي أول يوم استغربت لارا أن كمال لم ينم معنا وسألتني: «لماذا»؟

فأجبتها: «هو هينام النهاردا في الأوضة التانية علشان يسبنا ننام براحتنا، لو نام جنبنا هياخد السرير كله مننا ومش هنعرف ننام».

فضحكت وقالت:

بس هو مش تخين، دا رفيع مش هياخد مكان كبير.

بس أنت ماجربتيش نومه... اسكتي اسكتي.

فضحكت أكثر ثم قالت:

ماشي أحسن برده، علشان إحنا بنات ننام لوحدنا وهو ولد ينام لوحده أو مع الولاد.

أيوة كدا شاطرة.

ثم ضحكنا وأخذتها في حضني لتنام بين أضلعي ورأسها موضع قلبي، ولأول مرة بحياتي أنام بجوار طفل، بل في أحضاني طفل صغير، فكان مزيج من الشعور بالراحة والسعادة والأمومة لم أشعر به من قبل. كم كنت بحاجة لذلك الحضن البريء الذي لا يحمل بين طياته سوى الحب والصدق، لا مكان للخداع ولا مكان للنفاق، فقط حبٌ حقيقي.

استغرقنا في النوم وقت طويل، فأنا لم أنم هكذا منذ زمن طويل؛ يمكن لأنني لم أشعر بتلك الراحة التي شعرت بها أمس. ليس ممكنًا بل مؤكدًا، فلم أنَم هكذا طوال حياتي. تمنيت وقتها أن لا أستيقظ وأترك ذلك الحضن الطفولي البريء الذي أخذني لعالم آخر عالم مليء بكل ما هو جميل وبريء، تعلمون أننا بحاجة شديدة لأحضان أطفالنا، نحن نحتاج ذلك أكثر مما يحتاجونه هم؛ لندخل إلى عالمهم المليء بالبراءة والدفئ والأمان.

استيقظنا قبل صلاة الظهر بنصف ساعة، فقمت لتحضير الفطور لطفلتي الجميلة بعد أن أنهيت صلاتي أنا وطفلتي. نعم طفلتي، فكنت أناديها بهذا الاسم، فقد وَجَدَ شعورُ الأمومةِ الذي بداخلي أن هذا وقت مناسب لخروجه، فكنت أعامل لارا وكأنها طفلتي الحقيقة. كم تمنيت أن يكون هذا حقيقيًا ولا تتركني بعد يومين بعد أن اعتدت على وجودها معي!

كان كمال ينتظرنا لنتناول الفطور مجتمعين، فجاءت طفلتي الجميلة لتساعدني في تحضير الفطور وتأخذ مني الأطباق لتنظمها على طاولة السفرة. كم هي طفلة جميلة ومطيعة تمامًا مثلما أتمنى أن يكون أطفالي.

بعد الانتهاء من الفطور كنت أشعر بنشاط وطاقة وحيوية لم أشعر بهم من قبل، خاصة بعد زواجي؛ حيث كنت في حالة اكتئاب، محبطة لا أرغب في فعل أي شيء. أما الآن ومع وجود طفلتي أود أن أفعل أشياءً عديدة معها ولا أريد أن ينتهي اليوم سريعًا، أود الاستمتاع بكل دقيقة وبكل ثانية تمر وهي معي.

صرنا نلعب طوال الوقت، لا شعور بالتعب ولا شعور بالإرهاق. فقط شعرت وقتها أنني تحولت إلى طفلة صغيرة مثلها، طفلة مليئة بنشاط طفولي لا مثيل له. وقتها علمتُ قدرَ حبي لها، بل قدر حبي لتلك الكائنات البريئة التي لا تحمل داخلها أيَّ نوعٍ من أنواع الشر، فقط حب وعطاء لا نهاية لهم.

فجاءة دخل علينا كمال ليقول: «طيب يا عيالي، أنا خارج مشوار كدا ومش هتأخر، عايزين حاجة»؟

فطلبت منه لارا أيس كريم، أما أنا فشكرته ولم أطلب شيئًا.

كنت أعلم أنه لن يتأخر أكثر من هذا على حبيبته، خاصة أنني لاحظت أنه يتحدث في الهاتف بصوت منخفض قبل أنا يستعد للخروج، فعلمت في هذا الوقت أنها آية من تحدثه فخروجه بهذا الوقت كان متوقعًا.

لم يستطِع الانتظار أكثر من ذلك، ولم يجد وقتًا مناسبًا مثل هذا الوقت، فأنا منشغله مع لارا. لم يشعر بالذنب لتركي أجلس وحيدة في البيت فهناك لارا تسليني حتى يعود هو من موعده الغرامي، يظن أنني لم أعرف إلى أين ذهب،

فخرج لمقابلتها صباحية أول أيام الأسبوع الأول من زواجنا. نعم هو يحبها ولا يستطيع الصبر على عدم رؤيتها كل هذا الوقت، وكان يحدثها يوميًا، كنت أستمع لحديثهم أحيانًا عندما يرتفع صوته أو يظن أنني بغرفتي، فيأخذ راحته في الحديث فأدخل غرفتي وأبكي حتى ينهكني التعب وأنام.

كعادتها أنستني كل ما أفكر به ويزعجني في تلك اللحظة وأخذتني لعالمها الذي أعشقه، بعدما أنتهينا من اللعب وانتهينا أيضًا من تناول الحلوى جاءت فكرة جديدة لدي لارا.

فقالت:

إيه رأيك لو نغني؟

الله، فكرة حلوة جدًا يا بنت اللذينة يالا بينا.

استني أحضر العدة.

فضحكت وقلت:

عدة إيه؟ طيب ماشي يالا وريني، تحبي أساعدك؟

لا استني بس أنا هحضر كل حاجة بنفسي.

ودخلت الغرفه لتمشط شعرها ثم أحضرت الفرشاة لتستخدمها كميكروفون، وأحضرت لي أيضًا واحدة فضحكتُ لبرائتها ولتفكيرها الطفولي.

قلت لها:

كدا إحنا جاهزين يا فنانة؟

أيوة يالا نبدأ حالًا.

وبدأنا في الغناء لأكثر من أغنية من جميع الأذواق.

وفجأة، إذا كمال يدخل علينا ونحن مندمجون في الغناء، فكنا وقتها نغني أغنيتنا المفضله ونقول: «أحب أن أعيش بحريةٍ وأحب أنا آكل الملوخية... ملو ملو ملو ملوخيااااه». لم نشعر به إلا من صوت ضحكاته المرتفعة، فكاد أن يسقط على الأرض من الضحك، لم يستطِع السيطرة على نفسه وكتم ضحكاته، فنظرنا إليه، أنا كنت في حالة خجل أما لارا فكانت تضحك على ضحكاته ومنظره الهستيري.

كمال وهو يضحك: «ملو ملو ملو ملو ملوخيااه... حلوة أوي الأغنية دي، أول مره أسمعها وشكلكم تحفة أوي يا دكتور» واستمرَّ في الضحك حتى لاحظ خجلي فحاول تغيير الموضوع وتبادلنا الكلام قال:

طب إيه؟ مش هتاكلوا الآيس كريم قبل ما يبرد.

ناكل!

أيوة جبت لكم أنتم الاتنين، أصل لاقيت النوع اللي أنت بتحبيه فجبت لك.

شكرًا، بس أنا فعلًا مش عايزة.

فأصرت لارا أن أتناول معها الآيس كريم، فخضعتُ لطلبها. تعلمون لماذا؟ لأنني لا أستطيع رفضَ طلبٍ لطفلتي الجميلة. خرجنا لنتناول الآيس الكريم، وبعدها لمشاهدة فيلمٍ كارتوني معًا، وبينما نحن نشاهد الفيلم رأيت كمال يشاور لي، فلم أعطه اهتمامًا فاستمر في الإشارة، فذهبت إليه لأرى ماذا يريد.

فأخبرني كمال أن سارة حدَّثته وطلبت منه أن تاخذ لارا صباح الغد، خاصة أن غدًا سيكون يوم سبوع أقاربي، فغضبت كثيرًا. قالت حياة محدثة كمال:

وفيها إيه البنت مش هتضايقنا في حاجة، ماتخليها مالحقتش تقعد.

رد عليها كمال بصوت منخفض:

أنا قلت لها بس هي أصرت وقالت لي مش هينفع يا عريس، كفاية عليكم كدا وجوزي هزأني أصلًا علشان سيبتها. ماعرفتش أقول لها إيه الصراحة، خصوصا إن جوزها ممكن يكلمها تاني أو يكون عايز البنت، أكيد بنته وحشته يعني يا حياة.

طيب خلاص ماشي... أمري إلى الله، أكيد مش عاوزة أكون السبب في مشاكل لحد، بس لازم تفهمها إن الموضوع دا هيتكرر تاني كتير يا كمال، أنا أخدت على البنت واتعلقت بيها أوي زي ما أنت شايف.

فعلا أخدت بالي، خصوصًا بعد الملوخيه.

أراد أن يضحكني حتى يقلل من حزني ولو القليل. فابتسمت بعدما تذكرت ذلك الموقف المخجل. فتابع هو:

ماتقلقيش حاضر والله، أكيد هفهمها دا، خصوصًا لما تشوفكم أنتم الاتنين متعلقين ببعض إزاي... بجد كنتِ عيلة أوي معاها كإنك اتحولتِ لطفلة زيها.

والله! أنا عيلة؟ ماشي... طب وسع كدا أما اشوف لارا.

خرجت لأبحث عنها وأخبرها بأن غدًا سوف تذهب لبيتها، ولكني لم أستطِع أن أنطق بشيء؛ خصوصًا عندما حدثتني عن خطة اللعب التي تحضرها للغد. دخلت

لكمال مرة أخرى وقلت له:

لا أنا مش هقدر أقول لها حاجة، دي فرحانه وبتخطط للعب بكره، بجد مش هقدر؛ خصوصًا إن أنا أصلًا مش عايزاها تمشي ولو عيطت أنا ممكن أعيط معاها وأبهدل الدنيا.

خلاص خلاص هقولها أنا وأمري لله وابقى أنا الخال الشرير، هحاول أفهمها وربنا يسهل.

دخلتُ غرفتي وتركتهم يتحدثون، في بداية الأمر حزنتْ لارا لكنها لم تبكِ عندما فهمها كمال أنها ستأتي مرة أخرى وتقضي وقتًا أكبر. فدخلت لارا غرفتي لتنام معي وكان الحزن في عينيها أمسكت دموعي وقلت:

إيه أخبار الفيلم خلص.

لا، مش هكمله.

ليه؟ دا أنا كنت هطلع أكمله معاكِ، مش أنت بتحبي الفيلم دا؟

آه بحبه بس بحبك أنت أكتر وزعلت علشان همشي بكره وأسيبك.

يا حبيبتي أنت هتوحشيني أوي يا روحي، هستناكِ تيجي تاني.

وأنت كمان هتوحشيني أوي أوي أوي، حاضر خالو قال لي هيجيبني تاني وأقعد معاكِ وقت قد كدا.

أخذتها بأحضاني لننام سويًا. إنها الليلة الأخيرة التي تنام معي فيها، أود أن لا ينتهي الليل ولا تشرق الشمس مبكرًا، أود البقاء في ذلك الحضن والدفء، أود أن لا أودع طفلتي في الصباح.

كيف سأعود لحياتي المملة مجددًا! هل سيرافقني الاكتئاب أم أنه ذهب ولم يعد؟ من سيأخذني لعالمه وينسيني كل ما هو مزعج؟ ينسيني العالم بأكمله... من؟!

****

الفصل السادس

ذهبت لارا صباحًا مع كمال وجاء الليل وأتى الضيوف بسلام وانتهي اليوم على خير، وسمعت تلك الجملة التي أغضبتني المرة السابقة: «المرة الجاية بقى يبقى سبوع الببي»

كم آلمتني تلك الجملة، تُسعد جميع من يستمع إليها ولكنها تؤلمني أنا... تؤلمني وبشدة، وتأتي في وقتٍ غير مناسبٍ. لم أستطِع الصبر على فراق طفلتي لارا وفقد شعور الأمومة يعذبني بعدما تذوقت حلاوته معها، كم هو شعورٌ راقٍ وجميل، ولكن عند الفراق يتحول لنار بداخلك تحرقك على فراق طفلك.

أعلم أنها ليست طفلتي وأحاول إقناعَ نفسي بذلك، ولكن تعلقي بها كان يفوق كل شيء أحاول الاقتناع به. سنتلتقي قريبًا أيتها الطفلة الجميلة، أعدك بذلك.

انتهى الأسبوع الثاني من الزواج، فعادت حياتنا مثلما كانت، أنا بغرفتي وكمال بغرفة الأطفال، أحيانًا يتحدث مع آية، وقتًا يتشاجر معها ووقتا آخر يتنغزل فيها مُغْرَمًا.

كان يذهب كل يوم لا أعلم أين يذهب، لم أسأله مرة واحدة إلى أين! ولكن في الأرجح كان يذهب لرؤيتِها. مع كل مكالمة سمعتها لهم، مع كل مرة خرج بها وعاد في وقتٍ متأخرٍ والسعادة تظهر عليه كانت بمثابه طعنة جديدة بخنجرٍ مثلُومٍ في قلبي، وأشعر أن قلبي يعتصر من الألم؛ فلا هو بالميت الكريم ولا هو بالحي القرير، وأحدث نفسي: «هل لهذه الدرجة يحبها»! وأعود مجددًا لآلامي واكتئابي؛ فكان مبيت لارا معي رحمة من الله تخفف عني ما مريت به، فأنا في

هذا الوقت شعرت بسعادة بالغة كانت سببًا في فقدان الوجع وتناسي الحسرة والألم. لولا هذا اليوم كان من الممكن أن يصير لي مكروهًا، ولكن من رحمة الله أرسل لي لارا في ذلك الوقت لتخفف عني الكثير؛ فالحمد لله دائمًا وأبدًا.

أعلم أن ربي لا يفعل السوء بأحدٍ، وأن الخير من الله، والشر مما عملت أيدينا ومن أنفسنا، وأن كل ما يحدث يقينًا هو الخير، ولكننا أحيانًا لا نرى ذلك الخير.

دائمًا توجد حكمة لا نعلمها، أو ربما يكون اختبارًا شديدًا يختبر به ربي قوة إيماني. أتمنى أن أنجح به ويمر بسلام.

في نهاية الأسبوع الثالث، كان كمال يبدو عليه الحزن منذ يومين أو أكثر ولم يخرج كل يوم مثلما كان يفعل، يبدو أن هناك مشكلة ما بينهم. في ذلك اليوم أخبرني بأنه سوف يزور والده في عمله؛ حيث طلب منه والده ذلك، ولأول مرة يخبرني فيها أين سيذهب، لا أعلم ما السبب وراء هذا؛ هل أراد أن يخبرني بأنه لن يذهب إليها اليوم؟! جاء من عند والده يحمل تذكرتين وحدَّثني قائلًا:

دول تذكرتين سفر بابا حجزهم لنا علشان نقضي شهر العسل.

شهر عسل إيه! أنا مش عايزه أسافر أي مكان.

يعني أعمل إيه؟ دا بابا اللي حجزهم لنا كهديه جوازنا، هترفضي الهديه!

أنا إيه علاقتي بدا؟! اتصرف أنت مع والدك، مش مشكلتي حلها أنت.. أنا مش هسافر.

يا ستي مش هينفع هقول له إيه؟ يعني أنت مش نفسك تسافري باريس؟

لا مش نفسي أسا... قلت إيه؟ باريس!

آه... إيه مش بتحبيها؟

لا خالص أحبها إيه! دي حلم حياتي بس.

كمال وهو ينظر إليَّ نظرة يرجو بها أن يسمع الموافقة.

يعني هتسافري؟!

هي دي عايزة سؤال! قول لي بس هنسافر امتى علشان أحضَّر نفسي.

ضحك كمال ضحكة ممزوجة بالفرح وقال:

كمان يومين.

طيب يا دوب نحضر نفسنا. أنا لازم أكلم عمو أشكره على الهدية دي.

ضحك كمال وقال:

سبحان الله بجد! أنت قلتِ لي أنت برج إيه!

أنا لا قلت ولا هقول لك.

ليه هو سر؟

آه سر.. ماتدخلش في أسراري، الأبرج دي من الأسرار كدا هتعرف عني كتير.

طب وفيها إيه؟ مش عايزاني أعرف عنك الكتير ليه؟ هو مش إحنا متجوزين؟

نعم! متجوزين إيه؟ أنت صدقت! أنت أكيد بتستعبط... وأعرفك عنك الكتير ليه وأنا كمان كام شهر هسيبك؟

فصمت كمال وخرج، رأيت على وجهه حزن؛ هل جملتي أحزنته ولا يريد أن ننفصل أم هذه مجرد تخيلات بداخلي؟

ذهبت اليوم التالي لزيارة والدَّي حتى أودعهم قبل سفري، وكان كمال معي، لم يشعروا بأي شيء كالمرة السابقة فكان تصرفنا كأزواج حقيقيين، ثم ذهبنا بعد ذلك لبيت عم جمال، شكرته على هديته وجلسنا معهم نتسامر ونحكي وكأننا أسعد أزواج في العالم.

كان ذلك التمثيل يؤلمني، وكان لا يهوِّن عليّ سوى الفرحة التي أراها بأعينهم. قضيت اليومَ الآخر في ترتيب أشياء السفر. أخذت معي كل ما سأحتاجه والكثير والكثير من الملابس لأبدلها كل يوم.

جاء وقت السفر، كانت الفرحه تكاد تخرج من عيني؛ حتى لاحظها كمال وقال: «للدرجة دي بتحبي باريس»؟ فهززت رأسي إيجابًا فابتسم.

في أول يوم لنا هناك، عندما وصلنا للفندق ودخلنا غرفتنا قال:

بصي يا ستي، أنا جيت باريس دي مرة قبل كدا مع صحابي كدا، وعارف معظم الأماكن، ماتقلقيش هتزوريها كلها، يالا علشان نفطر، تحبي تفطري فأي مطعم؟

أنت بتسألني على أساس هختار يعني! ما أنت عارف إني أول مرة وأنت لسه بتقول إنك اللي عارف؛ فأكيد أنت اللي هتختار على ذوقك وربنا يستر.

ماتقلقيش المطعم اللي في دماغي هيعجبك، مش علشان أنا ذوقي حلو وكدا لا، علشان مافيش مكان هنا وحش كل الأماكن حلوة.

طيب يالا بينا ولما نرجع نبقى نفضي الشنط، أنا هتجنن وأمشي في شوارع باريس.

يالا بينا.

كان الحوار بيننا بداية ونهاية بالضحك، وبالفعل كان المطعم جيدًا، بل أكثر من جيد؛ أكلٌ شهيٌ، مع خدمةٍ ممتازةٍ، مع منظرٍ طبيعيٍ أكثرَ من رائع، كل شيء كان كما يجب أن يكون. ثم ذهبنا للتمشية وقمنا بزيارة (برج إيفل)؛ حيث قضينا الأسبوع كالآتي: كلُّ يومٍ نتناول الفطور في مطعم مختلف ونذهب للتريُّض في شوارع (باريس) الفسيحة الرائعة مدينة النور والجمال، ثم نتناول الغداء في مطعم آخر ونذهب إلى لفندق لأخذ قسط من الراحة، ثم نخرج للعشاء في مطعم آخر ونذهب بعدها إلى إحدى دور السينما أو بيت من بيوت للمسرح أو لحضور حفل غنائي أو دخول السيرك، وبعد ذلك نعود إلى لفندق للنوم بعد نزهة رائعة. كانت الغرفة كبيرة منزقسمة إلى قسمين: قسم للاستقبال به تلفازٍ ومكانٍ للنوم، وقسم به دورة المياه. كان كمال ينام على الأريكة في غرفة الاستقبال وأنا على السرير بغرفة النوم.

كان كمال عند وعدِه لي ولم يبخل علي بأيّ شيء، وبالتقريب قمنا بزيارة باريس بأكملها كما وعدني في بداية رحلتنا.

نعم كنت أخرج معه وتتم سعادتي كما أرجو، ولكن لم يكن بيننا الكثير من الكلام، معظم الوقت يلتزم الصمت وأحيانا يرن هاتفه ولكنه لم يرد ويغلق هاتفه كأن شيئا لم يحدث؛ يبدو أن مشكلتهم لم تنتهِ بعد. انتهى الأسبوع سريعًا فكان ذلك أسرع أسبوع يمر عليَّ بعد زواجي.

هكذا هي اللحظات الجميلة تمر بسرعة فائقة، عدنا من جديد لبيتنا وقضينا اليوم بأكمله في النوم وكأننا لم ننم في السفر أبدًا.

تحسنت العلاقة بيننا بعد هذه الرحلة، فاعتدنا على الأكل سويًا، وازدات الحوارات بيننا، يبدو أننا صرنا أصدقاء مثلما كان يريد، ولكن دون أن نشعر؛ ربما لأنه حاول إسعادي، وربما لحسن معاملته معي، ولكن لم أنسَ أبدًا ما فعله بي، نعم أنا أعامله معاملة جيدة؛ لأننا نعيش سويًا لفترة طويلة، فكنت أشعر بالملل وأنا وحيدة بغرفتي، فلم أستطِع حبس نفسي بها كل هذه الشهور. يمتلك كمال قدرًا عاليًا من الجرأة، يغضبني أحيانًا؛ فتحدث معي في مرة عن آية وعن حكايتهم كيف بدأت، ثم أنهى الحديث بأنه يفكر في تركها لازدياد المشاكل بينهما، فبدأ يشعر أنه لم يحبها، ويريد أن أنصحه بما يفعل، فجاوبته قائلة:

دي حياتك وأنت حر فيها، أنا مش هقدر أقول لك حاجة، أنا مش عارفة آية معرفة شخصية ولا أقدر أدخل في قلبك وأعرف أنت فعلا بتحبها ولا لأ، أنت من الآخر كدا لازم تقعد مع نفسك وتشوف أنت عايز إيه، وحاول تبعد عن ظلمها. لو هي بتحبك بجد بلاش تبقى ندل للمرة التانية.

تركته ودخلت غرفتي، كنت أتعمَّد إحراجه وأن أُذَكِّرَهُ بما فعله معي، وأنني لم أنسَ بعد؛ لأن من الواضح أنه نَسِيَ كل شيء. بعد مرور بضعة أيام جاء كمال من الخارج والغضب على وجهه، وفجأة ودون مقدمات قال لي:

أنا سيبت آية.

تعجبت من سرعته في أخذ قرار مثل هذا! أليس هذه من جرحني وأفسد حياتي من أجل رضاها! أبهذه السهولة أنهى كلَّ شيءٍ معها؟! لم أرد عليه فقال:

أنتِ مش بتردي ليه فكرتك هتفرحي.

فقلت باندفاع شديد:

أفرح! أفرح ليه؟ حد قال لك إني بحب الأذية لحد؟

لا طبعا، بس أقصد علشان آية كانت السبب في المشاكل اللي بينا.

لأ يا كمال، أنت السبب مش آية. لو كنت فهمتني كل حاجة قبل الجواز ماكانش حصل كل دا. وبعد كل اللي أنت عملته فيَّ علشانها بتسيبها بسهولة كدا؟ واضح إنك مش بتحبها من الأساس.

لا كنت بحبها، بس هي كرهتني فيها من كتر المشاكل والخناقات لحد ما زهقت ومش قادر أكمل معاها.

براڤو عليك! بعد ما كنت كسرت قلب واحد، دلوقتي أنت كسرت قلبين كل ذنبهم إنهم وثقوا فيك.

أنت ليه مش عايزة تقتنعي إني مش هينفع أكمل معاها؟ إزاي بتدافعي عنها كدا! دي كانت بتكرهك أوي وبتحاول تأذيكي.. أنا مش حابب أفضحها قدامك بس أنت اضطرتيني.

ثم تنهد وأخذ أنفاسه وتابع قائلًا:

أنا سيبتها علشان اكتشفت إنها طمعانة فيَّ وفي فلوسي، كان كل همها تتجوزني بسرعة علشان تتمتع بالفلوس، مع إني كنت موفر لها كل حاجة.

ثم سكت وكانت نظرات الحزن وخيبة الأمل على وجهه وتابع بصوت أكثر انخفاضًا:

سمعتها بتتكلم مع صاحبتها بتقول لها: «نفسي بقي يطلقها علشان أكون مكانها وأتمتع أنا بالفلوس دي كلها» صاحبتها قالت لها: «اللي يشوفكم مع بعض يقول بتدوبي فيه» و كان رد آية: «أدوب في مين! أنا بدوب في فلوسه بس».

ساعتها فقدت السيطرة على نفسي، دخلت عليهم وضربتها بالقلم ونهيت كل حاجة بينا، وجريت رجعت البيت علشان أقول لك إنك الوحيدة اللي أقدر أحكي لها.

اتصدمت بكلام كمال، ولم أستطع تصديق ما قاله. هل أراد الله أن ينتقم لي أم أراد أن ينقذ نفسه من تلك الحبيبة الخادعة قبل أن يحدث بينهما ارتباطًا بشكلٍ رسميّ؟!

فتابع قائلًا:

للحظة حسيت إن ربنا بينتقم لك مني.

ربنا مش بيعمل حاجة وحشة، أكيد هو عمل كدا وجعلك تسمعها علشان تكتشف حقيقتها قبل ما تتدبس معاها في أي حاجة رسمي.

أيوة الحمد لله.

أنت لازم تعمل خير وتصلي لله تشكره إنه فوقك وفهمك الحقيقة.

عندك حق هعمل كدا إن شاء الله... أنا آسف، وأرجوكِ تسامحيني... أنا ندمان على كل كلمة قُلتها وزعلتك.

أنا آسفة، بس مش هقدر أوعدك إني هقدر أسامحك.

مرت شهور بيننا ووقت الانفصال يقترب، ويحاول كمال أن يُكفِّرَ عن خطأه في حقي ويعاملني بلطف، يحاول التقرب مني أكثر يومًا بعد يومٍ، وكانت لارا تأتي كل شهر لتجلس معنا يومين، فكان كمال لا يخرج مثلما كان يفعل، بل يجلس معنا، وأحيانا يلعب معنا. وذات مرة فاجئنا حيث اقترح فكرة الغناء وقال:

إيه رأيكم نغني الأغنية المسخرة بتاعتكم دي؟ كانت إيه... آه: ملو ملو ملو ملو ملوخيا!!!!. فضحكت أنا ولارا وبالفعل غنينا سويًا.

يظل كمال بالبيت طوال الوقت، حتى إذا خرج لا يتأخر. لا يخرج إلا لزيارة أقاربه أو أصدقائه، وأحيانًا يقترح أن نخرج سويًا لزيارة مطعم جديد أو للترفيه وتغير الجو، وأحيانًا أخرى لزيارة الأهل.

أعلم أنه يفعل هذا؛ ليرضي ضميره، وحتى لا يشعر تجاهي بالتقصير.

قبل موعد انفصالنا بشهر تحدثت معه وقلت له:

كمال كنت عايزة أقول لك حاجة...

حاجة واحدة بس! أنت تقولي حاجات مش حاجة.

أنا بقترح أروح أقعد عند أهلي الشهر دا علشان موضوع طلاقنا يبقى ممهد، مش صدمة ليهم. إيه رأيك؟

بعد صمت قليل قال:

أنت لسه عايزة تطلقي؟

أيوة دا اتفاقنا من الأول.

بس أنا كان عندي أمل تحبيني زي ما حبيتك، أيوة حبيتك يا حياة واتعلقت بيكي جدًا... أنت غيرتيني للأحسن، خلتيني أشوف حاجات ماكنتش شايفها... آية مش موجودة لأنك موجودة، آية مش موجودة علشانك.

لا أنت مش بتحبني يا كمال، ولا كنت. وكونك مش مع آية فدا اختيارك لأنك اكتشفت حقيقتها، مش علشاني! بدليل إنك لو لسه علة جهل بحقيقة نيتها، كانت هتبقى موجودة دلوقتي! بلاش توهم نفسك بحاجات غلط وتحاول تقنعني بيها.

لا حبيتك يا حياة وبقولها لك أهو: أنا بحبك ومش عايز أسيبك. أرجوكِ اديني فرصة نحاول نعيش فيها مع بعض كأزواج عاديين، وأوعدك هعوضك عن كل لحظة وحشة مريتي بيها.

كمال، لو سمحت من غير محاولة، مش هضيع من عمري تاني معاك.

ثم تنهدتُ وتابعت:

أنا لحد دلوقتي مش قادرة أنسى اللي حصل، مش قادرة أنسى دموعي وقهرتي في أحسن أيام حياتي، مش قادرة أنسى مكالماتك معاها في شهر العسل وسايبني أنا مقهورة في أوضتي... يمكن آية لو كانت مش خاينة، كنت هتفضل معايا، وكان صعب تفكر تكمل معايا. أنت جرحتني أوي... جرحتني جرح صعب يتداوي. آه مش هنكر إن معاملتك اتحسنت معايا، وإنك عملت حاجات كتير فرحتني، لكن أنت عملت كدا علشان تحاول ترضيني، وعلشان شعورك بالذنب مش علشان حبيتني.

بأي حق بتتكلمي على لساني! أنا بقول حبيتك يعني حبيتك، ولو ماكنتش اكشفت آية على حقيقتها برده كنت هسيبها علشانك؛ لأني كنت بدأت أحبك. حياة، أنا من أول يوم جواز وأنا مشدود لك، حاسس إنك مختلفة وفيكِ حاجة جميلة مش موجودة عند أي حد، واتأكدت من دا لما شوفتك مع لارا وأد إيه أنتم الاتنين اتعلقتم ببعض، عرفت إن قلبك أبيض أوي زي قلب الأطفال كدا بالظبط.

شكرًا، أنا فعلًا بحبهم جدًا وبتعلق بيهم أوي.

آه واضح جدًا.

أنت بتتريق؟!

لا والله... حبك ليهم وتعلقك بيهم واضح بجد.

ماشي شكرًا... بس أنا هروح أقعد عند أهلي زي ما قلت لك.

أنت برده مصممة ومش مصدقة إني بحبك بجد... طب استني شوية طيب، لسه بدري هتمشي من دلوقتي.

آه؛ علشان نمهد لهم إن فيه مشاكل بينا ويكونوا متقبلين الإنفصال المفاجئ.

بس كدا هيحاولوا يصالحونا ويضغطوا علينا، لكن الانفصال المفاجئ مش هيقدروا يعملوا حاجة، هيكونوا قدام الأمر الواقع.

تصدق عندك حق، أنا بس خايفة الصدمة تبقى صعبة عليهم ويحصل لهم حاجة بسببنا.

بلاش تخافي، إن شاء الله خير وترجعي في كلامك.

أنت بتحلم.

مافيش حاجة بعيدة عن ربنا ومافيش مستحيل، جايز الشهر دا يغير فينا كتير.

نصيحة يا كمال، بلاش تتعب نفسك، إحنا مش هينفع نكمل مع بعض.

أنا أبقى عبيط لو سيبتك تضيعي مني بسهولة كدا، لازم أتعب وأعافر علشانك أنت تستاهلي.

والله مش عارفة أقول لك إيه بجد! خلاص أنت حر.

تركتُه ودخلتُ غرفتي وأنا أفكر في كل كلمة دارت بيننا: هل يحبني أم أنه مجرد شعور بالشفقة وإرضاءً لضميره؛ ليتوقف شعوره بالذنب عن إيلامه؟ لا أدري، ولكن لو كان بالفعل أحبني من أول يوم؛ إذا لماذا كان يستمر في علاقته مع آية، ولماذا لم يتركها إلا بعد اكتشاف حقيقتها؟!

نعم هذه أوهام، فهو لم يحبني بعد، وهذا ليس إلا مجرد شعورٍ بالشفقة لا أكثر. يجب أن ننفصل؛ لأعود لحياتي مجددًا وينتهي هذا الكابوس.

الفصل السابع

يحاول كمال نيلَ رضاي بأيِّ شكلٍ؛ حتى أتراجعَ عن فكرة الانفصال، لكنني كنت أفهم تلك الحركات. ذات مرة سألني كمال: ماذا أفعل في حياتي بعد أن ننفصل؟ فأجبته:

هحاول أرجع تاني لشغلي اللي سيبته بسببك دا، أنت مش عارف دا كان بالنسبة لي إيه، كان أكتر حاجة حلوة في حياتي.

طب والرجوع ليه سهل ولا صعب؟

لا صعب طبعًا، أكيد جابوا حد مكاني، بس أنا هحاول وهدور في كذا مستشفى وربنا يسهل.

تحبي تشتغلي من بكره؟

نعم! دا إزاي يعني؟

جاوبيني بس، آه ولا لأ؟

بعد كل اللي قلته لك دا لسه بتسأل! أكيد آه طبعا، بس إزاي؟

مالكيش دعوة، جهزي نفسك بس. هتبدأي شغلك بكره الصبح في مستشفى خاصة على أعلى مستوى.

أنت بتتكلم جد! ما تفهمني بقى.

ولا حاجة، كل الموضوع إن محمود صاحبي عنده مستشفى وهتوسط لك عنده،

هو صاحبي من زمان من أيام الطفولة وعمره ما اتأخر عليَّ، تقدري تقولي كدا صديقي الصدوق.

أنت بتتكلم جد؟ يعني هيوافق وهرجع أشتغل تاني وأعالج الأطفال وأشوفهم كل يوم!

أيوة ومالي إيدي منه جدًا، هكلمه حالًا علشان تطمئني.

تحدث كمال مع صديقِه محمود، وكما توقع لم يخزله محمود، وافق وطلب منه أن أذهب غدًا لبدء عملي. في هذه اللحظة قلت له:

أنا مش مصدقة! بجد دي أحسن حاجة أنت عملتها لي، بجد مش عارفة أشكرك إزاي يا كمال.

لا أنت عارفة إزاي يا حياة.

أنت لو بتعمل كدا علشان تضغط عليَّ و...

شششش بس.. وإيه! يا ريت ما تكمليش، لا طبعا أنا عملت كدا علشان عارف إن دا هيفرحك، وأنا مش هقدلا أشوفك زعلانة من غير ما أعمل حاجة، مش علشان أضغط عليكِ. أنت سألتي تشكريني إزاي وأنا جاوبتك بس مش أكتر.

بس أنا مش هقدر على الشكر دا.

يبقى خلاص، مش محتاج شكر لأني أصلًا ماعملتش حاجة، دي حاجة بسيطة ممكن أعملها مع أي حد، ما بالك بقى مراتي حبيبتي.

ابتسمت له ابتسامة مجاملة، يصطحبها نوعٌ من الاستهزاء بجملته الأخيرة، وقلت

له: «شكرًا» ودخلت غرفتي وأنا في قمه سعادتي، أحدث نفسي: «ياااااه، أخيرًا هبدأ أرجع لحياتي القديمة! مش قادرة أصدق، اللهم لك الحمد».

بدأ عملي من أول اليوم، فرحبَّ بي محمود واستقبلني استقبالًا جيدًا، وقدَّم لي الضيافة في مكتبه ونحن نتحدث عن العمل الجديد وتمنى لي السعادة معهم.

بدأت العمل بالفعل، ومع دخول أوَّلِ مريضٍ استقبلته بعطفٍ واشفاقٍ، واحتضنته كأنني أعرفه ولم أرَه منذ وقت طويل، كنت أقصد أن أحتضن العمل وقتها لا الطفل، ولكن ما عملي سوى الأطفال؛ فالعمل والطفل كالشيء الواحد.

انتهى أولُ يومٍ بسلام، اشتريت بعض الحَلوى وأنا في طريقي إلى البيت لآخذها معي في اليوم التالي مثلما كنت أفعل في عملي السابق.

لقد أصبحت حياتي أكثرَ حيوية، أشعر أنني عدت للحياة من جديد؛ إذ عُدت لحياتي التي اعتدت عليها قبل زواجي.

مر الشهر سريعًا، فلم أشعر به مثلما كنت أشعر ببطء أيامي قبل عودتي للعمل، فطوال الشهر كنت لا أرى كمال إلا القليل ولم نتحدث كثيرًا، فكنت دائمًا أتجاهله وأشغل نفسي حتى لا يفتح معي موضوع الطلاق، فهذا الموضوع منتهٍ بالنسبة لي، لا أريد النقاش فيه مجددًا. ذهبت لبيت أبي مثلما كنت أريد، تفاجأوا بي، وقلت لهم: توجد مشاكل بيننا؛ لذلك أودُّ الجلوس معكم عدة أيام. فعلتُ هذا لأنني لا أريد إخبارهم بالانفصال فجأة؛ حتى لا يصيبهم أي مكروه.

حاول كمال التحدث معي عدة مرات، فلم أرد عليه غير مرة واحدة حاول فيها استعطافي بكل الطرق، ولكنه أدرك من كلامي أنه لا يوجد أمل، وأخبرته أنني أريد ورقة طلاقي منه فقط ولا أريد شيئًا آخر.

بعد يومين حدثتني السيدة فاطمة وبعدها سارة، حاولوا أن يفهموا ما حدث، ولكنني لم أقل لهم شيئًا كما وعدت كمال.

في اليوم التالي جاءت السيدة فاطمة وعمي جمال وسارة معهم أيضًا، ولكن بدون لارا حتى لا تستمع لتلك المشاكل فهي ما زالت طفلة صغيرة.

حاوَلوا مجددًا الحصول على أيِّ معلومة مني، ولكني لم أقُلْ لهم ما يريدوا سماعه، فقلت لهم:

بصراحة إحنا متفقين على الطلاق ودا لمصلحتنا إحنا الاتنين، صدقوني كدا أحسن مش عاوزاكم تتضايقوا.

مش هنتضايق إزاي يا بنتي! أنت مش عارفة كمال عامل إيه في نفسه، دا لا بياكل ولا بيشرب وهو اللي باعتني بس مش عاوز يفهمني سبب المشاكل إيه، ما تقولي لي وتريحيني يا بنتي.

في هذه اللحظة تحدثت مع السيدة فاطمة قائلة:

لو قلت لك مش هترتاحي، أنا أكيد مش هطلب الطلاق من فراغ يعني، وإحنا أصلًا متفقين عليه. أنا مش فاهمة هو إزاي لحد دلوقتي مش عاوز ينفذ كلامه معايا.

عنده أمل ترجعي في كلامك.

لو كنت عايزة أرجع في كلامي هسيبت البيت ليه؟ سألتم نفسكم هو ليه مش عاوز يقول لكم السبب؟ طيب ليه ماجاش هو واتكلم مع والدي؟

ليه يا بنتي؟

الإجابة عند كمال يا عمي، مش هو اللي باعتكم يبقى هو اللي يقول لكم. أنا مش هقدر أقول حاجة، أنا عايزة أنفصل في هدوء وبس.

ذهبوا وهم مصممون أن يعرفوا كل شيء من كمال. لم تتركني أمي، وحاولت أن تعرف مني كل شيء، ولكني قلت لها:

استني يا ماما، ليه مستعجلة؟ بكرة والدة كمال هتتكلم وتقول لك بعد ما تضغط على كمال وتعرف منه كل حاجة، لكن أنا مش هقدر أتكلم علشان وعدته إني مش هتكلم، بس هو اللي بعتهم وجابه لنفسه بقى. فاكر إن كدا هيضغط عليَّ! لو فضل مصمم كدا ورفض يطلقني أنا هنسى وعده وأقول كل حاجة زي ما هو نسي اتفاقنا.

في اليوم التالي حدثتني السيدة فاطمة لتعتذر لي على ما فعله كمال معي، بالفعل ضغطها عليه نجح وقال لها كل شيء، فقلت لها:

أنتِ ذنبك إيه بس؟ لو بتحبيني بجد وعايزاني مش زعلانة خليه يطلقني بقى.

فقالت:

حاضر يا بنتي، ماليش عين أقول لك حاولي تسامحيه، إذا كان أنا مش قادرة أسامحه ولا قادرة أصدق إن هو عمل كدا.

لأ، حضرتك مامتة ومش هتستغنوا عن بعض، لازم تسامحيه؛ خصوصًا إنه حاول يكفر عن ذنبه وجاب لي شغل، وكان بيعاملني كويس الفترة الأخيرة، بس دا كله مش كفاية علشان ينسيني الألم اللي لسه أثره في قلبي لحد دلوقتي، خليه يكمل جميله بقى ويطلقني.

حاضر يا حبيبتي.

ثم تحدثت مع أمي ووضحت لها كلَّ شيءٍ واعتذرت لها. صُعِقَت أمِّي مما سمعته من والدة كمال، ولكني طمأنتها أنني الآن أمامها وبخير، فضمَّتني إلى أحضانها ضمة لم أشعر بها من قبل وهي تبكي وتقول:

يا حبيبتي يا بنتي! بقى أنت شوفتي كل دا ولا بينتي! كنتِ كاتمة في قلبك وساكتة! أنا السبب، أنا اللي ضغطت عليكِ تتجوزي واحد غصب عنك، سامحيني يا بنتي، أنا آسفة.

أنتِ ماكنتيش تعرفي إن هيحصل كل دا، أنا عارفة إنك كنت فاكرة إن هو اللي هيسعدني ويعوضني والكلام دا، بس أنا عايزة أقول لك إني كنت صح وكنت سعيدة أكتر قبل الجواز، علشان تعرفي إن الجواز مش كل حاجة وإن السعادة مش راجل زي ما كنت بقول لك زمان، وإني كان عندي حق لما كنت برفض أتجوز. عارفة إن الرجالة مش كلهم كمال، بس نوعية كمال دي كتيرة أوي وبتغطِّي على الناس الحلوة اللي قربت تنقرض. عارفة يا ماما على قد ما كان نفسي في طفل كدا حتة مني، على قد ما كانت الصدمة صعبة عليَّ أوي؛ خصوصًا علشان في لحظه مهمة زي دي على قد ما حمدت ربنا وقتها إنها حصلت في بداية الجواز قبل ما يكون في بينا أطفال يتعذبوا. الحمد لله، والله يا أمي ربنا كريم أوي ودي تجربة كبيرة أوي استفدت منها كتير، أنا خرجت منها أنضج بكتير من الأول واتعلمت حاجات ماكنتش هتعلمها لوحدي الحمد لله.

الحمد لله يا حبيبتي، ربنا يكملك بعقلك.

في اليوم التالي مباشرةً، أرسل لي كمال ورقة الطلاق بعد ضغط كبير من

والدته، حيث هددته إن لم يفعل لي ما طلبته؛ سوف تحكي كل شيء لعم جمال، فخضع لتهديها وأطلق سراحي.

عندما استلمتُ الورقةَ شعرت بشعورين معًا، شعور الحزن؛ لأنها ليست لحظة سهلة أبدًا على أيِّ شخصٍ مهما كانت الظروف ومهما كان ينتظر تلك الورقة، وشعور بالفرحة؛ حيث شعرت إنَّني صرت حرة من جديد. الآن فقط عدت لحياتي القديمة، كوني أشعر بالحرية فهذا أفضل شعور يمكن أن يشعر به الشخص فالحمد لله على شعور الحرية.

أما أبي، فأمي قالت له على كل شيء، ولكن أكدت عليه أن لا يُبَلِّغَ عمِّي جمال بشيءٍ خوفًا على صحته.

حزن أبي كثيرًا ودخل غرفتي وقال لي:

أنا مش قادر أحط عيني في عينيك، بجد ندمان أوي إني غصبتك عليه، ندمان إني كنت السبب في تعاستك. لو كنت سمعت كلامك ورفضته ماكانش حصل اللي حصل.

الحمد لله يا بابا، قدر الله وما شاء فعل، أنت ماكنتش تعرف اللي هيحصل، كان يُهيَّأ لك إنه هيسعدني وهياخد باله مني. أنا عذراك، كان نفسك تفرح بيَّ، بس الفرح مش في الجواز، كوني دكتورة قد الدنيا دا مش مفرحك؟ وبشتغل وناجحة في شغلي دا برده مش مفرحك؟

لا طبعًا مفرحني، بس أنا زي أي أب نفسي أشوفك مبسوطة في بيتك وولادك حواليكي.

أنا عارفة، بس شغلي كافي يخليك تبقى متطمن عليَّ، صدقني أنا كدا أحسن بكتير.

الحمد لله يا بنتي، وأنا مش عايز غير إني أشوفك مرتاحة وسعيدة في حياتك.

ربنا يخليك ليَّ يا رب.

ويخليكي ليَّ يا رب و...

ها وإيه.

ضحك أبي وقال:

وأشوفك فرحانه دايمًا يا حبيبتي، مش عارف بقى مع حد يسعدك ولا لوحدك.

لا لوحدي ماتقلقش عليَّ.

ربنا يهديكي يا بينتي.

إيه دا هو أنا مجنونة؟

أنتِ مافيش فايدة فيكِ يا غلباوية أنت.

قضيتُ شهورًا طويلة أعمل في المستشفى الخاصة بمحمود، كنت أود تركها؛ حتى لا يكون هناك شيءٌ يذكرني بكمال، وحتى لا يكون هناك إحراجٌ بيني وبين محمود بعد ما انفصلت عن صديقه المفضل. كنت أبحث وقتها عن عمل آخر ولم أجد أيَّ فرصة مناسبة، ولكن كان محمود يعاملني بلطف شديد، وكأن شيئًا لم يحدث بيني وبين صديقه، بل معاملته زادت لطفًا وتقربًا بعد الانفصال، لم أعلم سببها. كان يتردد كل يوم على المكتب الخاص بي، وأحيانًا يطلب أن نتناول

الغداء سويًّا، فكنت أعتذر له، وذات مرة طلب مني أن لا أرفض هذه المرة؛ لأن هناك أمرًا هامًا يجب أن أعرفه، فقلت له:

طيب، أنت ممكن تقول لي فيه إيه؟ مش لازم غدا أنا متعودة أصلًا أتغدا مع أهلي وهما بيستنوني.

طب نقعد نشرب حاجة في أي كافيه، أصل مش هينفع نتكلم هنا في المستشفى.

ماشي ممكن نشرب حاجة في كافيتريا المستشفى.

مش هنقعد على راحتنا صدقيني. الدكاترة هيرخموا علينا، فيه كافية قريب من المستشفى وماتقلقيش مش هأخرك.

وافقتُ لإرضاء فضولي وليس لإرضاءه، وحتى أنتهي من إلحاحه المستمر.

دخلنا الكافيه وطلب لنا العصير، وبدأت الحوار معه قائلة:

خير يا دكتور؟ اتفضل.. إيه الموضوع المهم اللي عايزني فيه ومش هينفع في المستشفى.

بداية كدا بلاش دكتور دي، إحنا مش في المستشفى.

ماشي يا ريت تدخل في الموضوع بس علشان ماتأخرش.

ماتقلقيش مش هأخرك، أنا... ثم صمت قليلًا وتابع:

أنا كمال حكى لي سبب الانفصال، من غير استغراب؛ لأن إحنا قريبين جدا من بعض، تقدري تقولي صحاب وإخوات من الطفولة.

آه فعلًا كمال كان قايل لي إنكم قريبين من بعض، بس مش فاهمة أنت بتعرفني إنك عرفت ليه؟

كنت عايز أسألك، أنت ممكن ترجعي لكمال تاني؟

هو اللي باعتك؟

لا لا، هو تقريبًا يأس بس لسه بيتعذب ونفسه ترجعي له.

إجابتي على سؤالك: لا مش ممكن أرجع له، هو لو فعلًا حكى لك اللي حصل؛ يبقى أكيد أنت هتفهم مش ممكن ليه.

أيوة حكى لي، وأنا اتضايقت جدًا وزعقت له وهزأته، ماكنتش أتوقع إنه ممكن يعمل كدا، أنا اتصدمت منه الحقيقة، وإنه خبى عليَّ، خصوصًا إني كنت مسافر الفترة دي ورجعت لاقيته اتجوز في شهر وأنا سافرت حوالي ٣ شهور في بعثة في ألمانيا.

هو الموضوع فعلًا جه بسرعة، نصيب بقي الحمد لله، بس ما دام هو مش باعتك بتسألني ليه؟

محمود بعد تنهيده طويلة وكأن هناك سرًا ثقيلًا يخبأه بداخله:

علشان يا ستي بصراحة كدا أنا عايز أتقدم لك.

نعم! عايز إيه!

بهدوء بس وفكري براحتك، أنا مش هلاقي حد زيك. أنت شخصية محترمة، ودكتورة شاطرة، وفوق كل دا جميلة وتتحبي. الصراحة حسيت إني مشدود لك

كتير، ماحبتش أصارحك غير لما أتأكد إنك ماعندكيش النيه ترجعي لكمال.

مش خايف تخسر صاحب عمرك وأخوك؟

خايف طبعًا، بس هو خسرك وأتمنى أنا أكسبك. أنا هحاول أفهمه إنك مش عايزاه والحاجات دي قسمة ونصيب يعني، والحمد لله إن مافيش أطفال بينكم.

آه مافيش أطفال -مع ضحكة استهزأ- يعني لو كان فيه أطفال ساعتها ماكنتش هتتقدم لي صح؟! هو كمال قال لك كل حاجة وكان فاكر إنه بيفضفض لصاحبه، مايعرفش إنه هيطعنه كدا في ضهره.

أنت مكبرة الموضوع ليه؟ اللي أنا اللي بطلبه دا لا عيب ولا حرام. حياة أنا بحبك بجد وهكون أسعد إنسان لو وافقتِ نتجوز، وهحاول أعوضك عن كل حاجة .

لا مش هتكون أسعد إنسان لما صاحب عمرك يسيبك ويبعد عنك لما يكتشف إنك حبيت الإنسانة اللي كانت مراته، واللي بيقول لك إنه لسه بيحبها.. بص يا محمود أنا من الأول خالص كنت رافضة فكرة الجواز دي، ولظروف ما اضطريت أتجوز صاحبك والحمد لله عدت على خير ورجعت لحريتي تاني، مش ناوية أغلط نفس الغلطة دي مرة تانية. أنا آسفة بس مش هقدر أساعدك في تدمير كمال أكتر من اللي هو فيه، هو لحد دلوقتي لسه ضميره واجعه وحاسس بالذنب وبيتألم، ولو عرف طلبك دا بس ممكن يروح فيها، بعد إذنك اتأخرت ولازم أمشي.

ثم أخذت حقيبتي وخرجت من المقهى، وذهبت لإتمام عملي بالمستشفى.

مساءً قبل النوم أفكر كعادتي المسائية:

هل ما فعلته صحيحٌ أم لا؟

نعم صحيح!

ماذا إذا كان يحبني حقًا؟

لا، هذا ليس حبًا يا حياة، هو لا يحب إلا نفسه ولم يفكر في شعور صديقه، وهذه خيانة، ومن يخُن مرة يخُن ألف مرة.

ذهبت في اليوم التالي إلى لعمل وأنا أشعر أن محمود سيُقيلني بعد كلامي القاسي معه أمس، أو سيمنعني الأمن من الدخول، ولكن ذلك لم يحدث، فقد مارست عملي بشكلٍ طبيعي، لم أرَ محمود ذلك اليوم. مر أسبوع على هذا الحال يتجنب اللقاء بي، ولا يتردد على مكتبي كعادته السابقة.

حتى جاء إليَّ العامل ليخبرني أن دكتور محمود طلبني لمكتبه، استغربت؛ فلماذا يطلبني ولم يأتِ إلى مكتبي مثلما كان يفعل؟ هل كان يفكر في موضوع إقالتي واتخذ القرار الآن؟ ولكنني لم أفكر كثيرًا وذهبت على الفور، وتوقعت إقالتي مثل المرة السابقة، ولكني فوجئت بشخص آخر في مكتبه، إنه دكتور أحمد صاحب المستشفى المجاورة، فقد سمع عن حب المرضى لي وعن تفوقي في مجالي فجاء ليراني ويتعرف عليَّ. قال محمود:

اتفضلي يا دكتورة، دا دكتور أحمد يا ستي، صاحب مستشفى الحياة اللي جنبنا.

الحياة؟!

أيوة، شوفتي الصدف! دا كان سبب كبير إني أصمم أتعرف عليكِ.

فضحكت بفرحة ثم قلت:

سبحان الله! بجد صدفة غريبة أوي. بس ليه سميت الاسم دا؟

حسِّيته معبر جدا وفيه كل المعاني ولمسني.. أنا سمعت عنك كتير، ما شاء الله الأطفال وأهلهم كلهم بيحبوكي. ثم ضحك وهو يتابع ويقول:

دا أنا مرة سمعت إن فيه طفل عمل نفسه تعبان علشان يجي لك.

فضحكتُ حيثُ تذكرتُ موقفَ الطفلِ، وقلت:

طفل واحد! لا دول كتير بيعملوا كدا، وفيه اللي بيعمل كدا علشان ياخد من الحلويات اللي بوزعها على المرضي، بس أنا كمان بحبهم جدًا وبفرح بشقاوتهم وحبهم ليَّ أوي.

لا الصراحة ليهم حق يحبوكي، أقصد علشان الحلويات يعني، ماحدش بيعمل كدا.

محمود بغضب:

آه فعلًا، حياة مميزة في الحتة دي، طيب اتفضلي على شغلك يا دكتورة حياة مش هنعطلك عن المرضى بتوعك أكتر من كدا.

طيب بعد إذنكم.

سعيد جدًا بمعرفتك.

أنا أسعد يا دكتور.

ذهبت لإتمام عملي، وفي أخر اليوم جاء محمود ليتحدث معي قائلًا:

أنا لي أسبوع بفكر في كلامك، ومش عارف أواجهك، بس اللي عايزك تعرفيه إن حبي الكبير ليكي هو اللي خلاني مش بفكر فأي حاجة تانية حتى كمال. أنا بحترم

رأيك وقرارك، أنت عندك حق أنا لازم أجي على نفسي ومش مهم سعادتي في مقابل إني مأذيش صديق عمري.

أنا مبسوطة أوي باللي بسمعه منك دلوقتي، حقيقي مش مصدقة.

ثم ضحكت وأكملت:

أنا قلت هترفدني، ربنا يكملك بعقلك يا رب، ويرزقك بالانسانة اللي تحبك وتحبها وتعيشوا في سعادة أبدية.

لا أرفدك إيه بس، أنت شيفاني وحش أوي كدا! آمين تسلمي.

لا أبدًا مش شيفاك وحش كدا، أنا اللي خيالي واسع مش أكتر.

مرَّ أسبوعٌ آخر، فكان محمود يأتي لمكتبي ليلقي تحية الصباح فقط، ويذهب لمكتبه. أما أحمد فأتى أكثر من مرة وكان يأتي ليلقي السلام ويتحدث معي قليلًا عن العمل، وفي آخر زيارة له طلب مني العمل معه في المستشفى الخاصة به، حيث قال:

ماهو مش هينفع يا دكتورة حياة ماتشتغليش في مستشفى الحياة.

ضحكت وقلت له:

بس أنا مبسوطة هنا.

فقال:

بتقبضي كام يعني؟ أنا هقبضك النص.

ضحكت كثيرًا من طريقته في الحديث وقلت له:

ياه! دا عرض مغري جدًا، لا لازم تسيبني أفكر بقى.

فضحك وقال:

شوفتي من قوة العرض مش هتعرفي ترفضيه.

وضحك وتابع:

لا بجد هديكي قد اللي بتاخديه مرة ونص.

لا دا عرض مش مغري، العرض الأول كان أقوى.

فضحك أحمد وقال:

خلاص براحتك، العرض اللي أنت عايزاه هتاخديه، إيه الدكتورة الهبلة دي!

فقلت:

ياه عليك يا دكتور، دا أنا بهزر معاك، بص مش هقبل بأقل من ضعف مرتبي.

ضحك بصوت مرتفع وقال:

أيوة كدا بقى باني وأنا اللي بقول هبلة، دا أنا اللي الأهبل، بس أنا موافق.

أنت صدقت! أنا بهزر بجد.

وأنا بتكلم جد والله، اللي أنت عايزاه هديهولك.

أنا المرتب دا آخر اهتماماتي، لو هتوفر لي أوضة حلوة كدا ممكن أفكر.

الأوضة موجودة يا فندم ومستنياكِ.

دا بجد؟ خلاص سيبني أفكر وهبقى أرد عليك.

ماشي هسيبك تفكري براحتك، بس ماتتأخريش عليَّ عن نص ساعة كويس؟

إيه! نص ساعة إيه أنت بتهزر؟ هو أنا كدا الح...

بس بس خلاص، إيه مابتهزرش يا رمضان.

لا بهزر بس خضتني.

ماشي فكري براحتك، وأنا هروح أشوف محمود، يالا أشوفك بخير في مستشفتي.

بعد ضحكه قصيرة قلت: إن شاء الله.

طوال اليوم أفكر في عرض أحمد، فهو عرضٌ لم أكن أحلم به طوال حياتي، أعمل بمستشفى باسمي، مستشفى ضخمة كهذه، وبمرتب أعلى، فجاء العرض في وقته المناسب؛ حيث كنت أبحث عن عمل آخر لترك مستشفى محمود حتى لا أشعر بالحساسية معه طوال الوقت، أو ربما أرى كمال في أي وقت. كنت أشعر أن عملي بها مؤقت وسوف أتركها يومًا ما.

جاء أحمد في اليوم التالي، حدثني قائلًا:

ها فكرتِ؟

أنت لحقت؟ دا العرض لسه كان امبارح.

أنت مش عارفة إن الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ولا إيه؟ إحنا في عصر السرعة عرض زي دا مايترفضش يا أمي، يالا هتمضي العقد امتى؟

إيه دا مين قالك إني وافقت أصلا؟

إحساس، أصل أنا بقرأ العيون كويس.

والله! طب أهي خدعتك المرة دي.

إيه طيب؟ بكره كويس؟!

أنت إيه مصمم برده.

آه انسي، أنا مش هسيبك غير وأنتِ شغاله معايا.

والله يا دكتور أحمد يعني لو ماكنتش تحلف بس.

ضحك أحمد بصوت عالٍ وقال:

لا أنا ماحلفتش، وممكن أرجع في كلامي عادي.

بقى كدا؟ طب أرجع كدا ووريني.

لا ماقدرش يا دَكْتره، إحنا نطول إنك تشتغل معانا برده!

شكرًا، ربنا يخليك.

هستناكِ بكره بقى.

مش عارفة هقول لمحمود إيه.

لا ماتقليش أنا اللي هقول له.

ذهب أحمد لمكتب محمود وأخبره بعرضه لي وبموافقتي على عرضه. تفاجأ محمود بالخبر ولكنه استسلم؛ فما بيده شيء لفعله. وقال محمود لأحمد:

أنت هتيجي تاخد الدكاترة من عندي ولا إيه؟

هههههه.. لا هي دكتورة واحدة بس وهسيب لك الباقي كفاية عليك كدا.

اشمعنا حياة يا أحمد؟

علشان تشتغل في مستشفى الحياة، دا أنت غريب أوي وبتسأل أسئلة غير منطقية.

لا بجد يا أحمد.

علشان شاطرة مثلًا وأنا محتاجها معايا، وفعلًا الاسم شدني لازم تشتغل في مستشفى باسمها.

إيه السبب التافه دا! يعني كل الدكاترة اللي اسمهم أمل يشتغلوا في مستشفى الأمل.

ضحك أحمد وقال:

وليه لأ؟ والله تبقى حاجة جميلة وكلها أمل، خليك فريش كدا.

ضحك محمود ضحكة صغيرة بها نوع من الحزن وقال:

ماشي ربنا يوفقكم.

حبيبي يا حودة، يالا سلام بقى علشان أروح أشوف شغلي.

مع السلامة.

أجلس بمكتبي وأنا قلقةٌ؛ فاليوم لم يأتِ الكثير من المرضى كأنهم يعلمون بحالي وبقلقي، فهذا آخر يوم لي بمستشفى محمود، مع نهاية اليوم أخذت كل متعلقاتي في المكتب وقبل أن أذهب دخل محمود وقال:

خلاص هتمشي بالسرعة دي؟

آه خلاص، بكره إن شاء الله أول يوم ليَّ في مستشفى الحياة، كنت هعدي عليك قبل ما أمشي علشان أسلم عليك وأودعك، إن شاء الله نتقابل على خير، اتبسطت جدا بالشغل معاك بجد، وقضيت أوقات حلوة كتير هنا مع كل فريق العمل، بجد ناس حلوة جدًا ربنا يوفقكم. بس أنت عارف إننا فترات في حياة بعض ولازم يجي يوم ونفترق ويجي حد مكانا يملي الفراغ اللي سبناه أشوف وشك على خير يا دكتور.

عندك حق أشوف وشك على خير ربنا يوفقك في حياتك.

شكرًا جدا ولك بالمثل.

ذهبت من المستشفى وأنا أمشي ببطءٍ، أود أن أودِّعَ كلَّ شيء فيها وكل شخص، أشعر بانتماء لأي مكان أذهب إليه، تذكرت وقتها بيت كمال، حيث كنت أشعر بذات الشعور آخر يوم لي فيه.

خرجت من باب المستشفى، بعد خطوات قليلة عدت بنظري للوراء وألقيت نظرة أخيرة عليها من بعيد، ثم أكملت طريقي إلى البيت.

الفصل الثامن

ذهبتُ في اليوم التالي إلى لعمل الجديد، أشعرُ بطاقة وحيوية غريبة، كنت دائمًا أتحمس لأيِّ عمل، ولكن تحمُّسي الآن فاق كل ما شعرت به من حماسٍ في المرات السابقة، فأنا سوف أعمل بمستشفى تحمِل اسمي، حقًا إنها صدفةٌ غريبةُ الأطوارِ، ولكنها جميلة.. جميلة للحد الذي يجعلني لم أصدق حتى وصلت ورأيتُ الاسم بنفسي.

خمس دقائق وأنا أقف أنظر إلى تلك اللافتة التي تحمل اسم المستشفى (مستشفي الحياة)، أنظر إليها وأنا مندهشةٌ لا أصدق. لسان حالي: «أهذا حقيقيٌ»! وتكاد السعادة تخرج من قلبي لتُسعد جميع من يمشون حولي، ثم أغمضت عيني وأخذت نفسًا عميقًا وأنا أردد: «الحمد لله».

فوجئتُ بأحمد يأتي نحوي ويقول:

أنت هترجعي في كلامك ولا إيه؟ وقفتِ كتير جدًا.

ضحكت وقلت:

لا أبدًا، أنت بتراقبني ولا إيه.

بصراحة آه، نص ساعة مستنيكي تيجي وواقف في شباك مكتبي لحد ما جيتي، وفضلتي واقفة كتير، قلت هترجع في كلامها دي ولا إيه! أنزل ألحقها.

ابتسمتُ له وقلت:

لا ماتقلقش، أنا بس اليافطة شدتني أوي.

نظر أحمد لليافطة وهو يقول:

آه علشان اسمك.

أيوة وشكلها حلو كمان، التصميم بتاعها جميل أوي.

مبسوط إن أول حاجة في المستشفى عجبتك، إن شاء الله اللي جوه يعجبك أكتر من اللي بره، يالا تعالي ندخل ونبدأ، مش عايزين نضيع اليوم.

إن شاء الله تمام، يالا بينا أنا جاهزه للشغل على طول.

دخلنا إلى المستشفى، فكان المكان جميلًا، كلُّ شيءٍ كما يجب أن يكون، وبالفعل المكان من الداخل أبهرني أكثر من الخارج، فكلُّ شيء ممتاز، الديكور يبهر العقل، والزي الرسمي للممرضات، وأيضًا الزي الرسمي للأطباء كان يحمل "بادج" باسم المستشفى: (الحياة) فأرى اسمي في كلِّ مكان وأبتهج لرؤيته أمامي هكذا، وكل التصميمات أكثرَ من رائعة. فوجئت أكثر بأن أحمد صمم لي مكتبي كما كان في عملي السابق كما طلبت منه، فكيف ومتى فعل كل هذه الأشياء؟!

سألته بتعجب شديد:

أنت إزاي لحقت تعمل كدا؟!

كنت حاسس إنك هتيجي، وقلت لك كل حاجة موجودة، كان ناقص حاجات بسيطة العمال خلصوها، أصل بصراحة صورت مكتبك قبل كدا وأنتِ مش فيه علشان أعمله زيه بالظبط.

مش معقول بجد! عملت كدا امتى؟

تاني يوم من العرض لما قلتِ لي: «هوافق لو عندك مكتب زي دا» تاني يوم روحت بدري ودخلت المكتب قبلك وصورته.. أيوة مجنون عارف .

ضحكت وقلت:

أنا قلت كدا! على كلٍ بجد مش عارفة أقول لك إيه، شكرًا على كل حاجة.

العفو على كل حاجة، يالا بقى علشان نكتب العقد.. عقبال العقد التاني.

عقد إيه تاني؟

لا ولا حاجة.

قُمنا بكتابة العقد وأعطاني أحمد ضعف مرتبي مع محمود بالفعل كما وعدني، وذهبت لبدء عملي الجديد وأنا أردد في سري: «الحمد لله، الحمد لله»، شعور من الراحة للمكان يسيطر عليّ، حتى من يعملون معي على وجوههم السعادة والترحيب بي. شعرت أن هذا المكان ليس غريبًا عليّ، هو شعورٌ بالانتماء له من أول يوم، هناك مقولة تقول: «حب ما تعمل حتى تعمل ما تحب»؛ فماذا إذا كنت أعمل ما أحب؟ طبيعي أن أكون أحب ما أعمل، الحمد لله دائمًا وأبدًا.

انتهى اليوم سريعًا، كنت أود أن لا أترك ذلك المكان الجميل الذي لم أشعر بالدفء إلا فيه. ذهبت إلى البيت والسعادة تظهر على وجهي، ولاحظ ذلك أبي وأمي؛ فقالت أمي:

واضح إن الشغل الجديد عاجبك.

ابتسمت وقلت لها:

جدًا يا ماما، بجد المكان حلو أوي، والأحلى الناس اللي فيه، ومعاملتهم، وطيبتهم. أما بقى الأحلى والأحلى هو اسم المستشفى.

تعجب أبي وأمي، و سألاني عن اسم المستشفى، وما المميز به.

فقلت لهما:

اسمها الحياة.

أصابتهما الدهشة أكثر؛ فلم يصدقا ما سمعاه.

فتابعت:

أيوة، أنا عملت كدا بالضبط أول ما عرفت، بجد مبسوطة أوي؛ أول مرة أكون سعيدة بالشكل دا من زمان، الحمد لله.

فقالا في صوت واحد:

- الحمد لله يا بنتي، ربنا يسعدك كمان وكمان.

- آمين يا رب.

مرت ستة أشهر كاملة في عملي الجديد الذي صار قديمًا بعد مرور الستة أشهر عليه. أحداث كثيرة مرت في تلك الفترة، كل يوم يمر أحب فيه عملي أكثر من اليوم السابق.

كونتُ صداقات عديدة، ولكن كانت هناك صديقة مميزة دائمًا تطمئن عليّ وأطمئن عليها باستمرار، تشاركني تفاصيل يومي، وتسكن بالحي المجاور لي، نذهب سويًا إلى العمل في الصباح الباكر ونعود سويًا إلى البيت بعد انتهاء العمل

في الساعات الأخيرة من النهار. هي إنسانة خلوقة، وتمتلك من الطيبة ما يجعلها بريئة كالأطفال، وتدعى لارا. إنها ثاني صدفة غريبة متعلقة بالأسماء تصادفني في ذلك المكان.

صار أيضًا نوع من الصداقة بيني وبين أحمد؛ فكان يهتم بما أهتم به، يفعل ما أفعله، يتحدث مثلي، ويتصرف مثلي أيضًا. هناك شيءٌ غريبٌ لا أفهمه، يعرف كيف يخلق الابتسامة على مبسمي حتى وإن كنتُ حزينة. أحب طريقته في الكلام، وخفة دمه التي تظهر عليه دون أن يبذل مجهودًا. في الماضي لم يكن لديّ أصدقاء، أما الآن لديّ أصدقاء كُثُر، منهم لارا وأحمد، وهما المقربان لي.

صداقتي مع أحمد كان لها حدود؛ فلم أوافق أبدًا أن نخرج سويًا إلا مرة واحدة، وكان معنا بعض الأفراد من فريق العمل ومنهم لارا، حيث رفضت وقتها أن أخرج معه فقام بدعوتهم جميعًا حتى أوافق على دعوته لي. نعم، إنه مجنون؛ كان يريد أن يدعو كل من بالمستشفى عندما قلت له:

مش هينفع نخرج لوحدنا؛ لازم حد معانا.

ماشي، ممكن أعزم لك المستشفى كلها لو تحبي، مش مصدقة؟ طب استني كدا.

ثم خرج.

فجاءت لارا لتخبرني أن دكتور أحمد أهدى الجميع طعام الغداء اليوم كمجموعة كاملة، وكان يريد أن يهدي المستشفى بأكملها ولكن دكتور حازم أقنعه أن نذهب نحن ويأتي بالغداء لمن لا يستطيع الذهاب معنا، بمعنى أنه بالفعل عرض ذلك على المستشفى بأكملها! فهكذا أحمد يفاجئني داومًا بتصرفاته الجنونية.

طوال الغداء لاحظتُ نظراته إلي من بعيد، ولا أعلم ماذا يقصد بها، هل يريد إخباري بانتصاره بتنفيذ وعده وأننا الآن نتناول الغداء بالخارج معًا، أم هي نظرات عادية ولا يقصد بها شيئًا؟

اليوم أتممتُ الشهر السابع في عملي؛ فمثل هذا اليوم كان أول يوم لي بالعمل. جاء أحمد لمكتبي مع بداية اليوم، وقال:

السلام عليكم، صباح الخير يا دكتور.

وعليكم السلام، صباح الخير يا دكتور أحمد.

تسمحي لي أعزمك على الغدا النهاردا بالمناسبة السعيدة دي؟

مناسبة إيه؟!

إيه دا، أنت مش عندك خلفية ولا إيه؟ النهاردا لك في المستشفى سبع شهور.

آه! ياه، أنت فاكر اليوم كمان؟

أمال أنت فاكرة إيه؟ دا أنا ذاكرتي ذاكرة سمكة وأعجبك أوي.

ضحكت كثيرًا وقلت:

سمكة إيه بس يا دكتور أحمد.

إيه، دولفين كويس؟

ضحكت وابتسمت وأنا أقول:

آه، كويس.

ها، قلتِ إيه على العزومة؟

أظن إنك عارف إجابتي من قبل كدا، لو أنت مستعد تعزم المستشفى كلها تاني بقى أنت حر.

ضحك أحمد وقال:

وأعزم المحافظة كلها علشان خاطرك.

انتابني شعور بالخجل وأنا أقول له:

شكرا جدا على ذوقك.

العفو العفو، بس المرة دي عايز أتغدا معاكِ لوحدك، ممكن؟

اشمعنى؟!

عايز أتكلم معاكِ في موضوع مهم.

طيب ما تتكلم هنا؛ أنت عارف مش هينفع نخرج لوحدنا.

ما هو مش هينفع برده أتكلم هنا، طيب إيه الحل دلوقت؟

مش عارفة، طيب ما هو ما حدش سامعنا، اتكلم قلقتني.

مبدأيًا، مش عايزك تقلقي؛ مش هينفع حد بيشتغل معايا يقلق، انسي يا ماما موضوع القلق دا خالص.

ضحكت من أسلوب كلامه وقلت:

خلاص، مش هقلق بس اتفضل، قول بقى.

أنتِ مصممة يعني؟

آه، مافيش حل تاني.

ماشي أنت حرة، تتجوزيني؟

حياة باندهاش:

إيه؟!

إيه؟ هو أنا وحش أوي كدا؟ إيه التكشيرة دي؟

لا مش قصدي، بس اتفاجأت فعلًا، والمكان مش مناسب.

مش قلت لك، ها؟ هنتغدا سوا ونتكلم، تمام؟

لا، لا، مش هينفع؛ مش هاقدر أتأخر.

طيب حاولي، ما إحنا لازم نتكلم؛ فيه كلام كتير عاوز أقوله.

معلش، مش هينفع النهاردا.

طيب على راحتك، بكرة كويس؟

مش عارفة.

قولي بقى إنك مش عايزة خالص، بس برده مش هاسيبك غير لما نقعد ونتكلم؛ ما هو لازم تسمعيني، مش حلو إنك تحكمي عليَّ من برا كدا، أنت لسه مش عرفاني كويس.

ربنا يسهل، بعد إذنك علشان عندي شغل.

ضحك أحمد وقال:

إيه دا؟ عندك شغل في مكتبي ولا إيه؟ يا بنتي أنت رايحة فين؟ أنا اللي في مكتبك.

فابتسمت خجلًا وقلت:

إيه دا؟ آه، معلش اتلغبطت.

طبعًا؛ ما أنا مش سهل برده.

ابتسمت وازداد خجلي ولم أرد عليه، وذهب إلى مكتبه وتركني في حيرتي، يا الله، يا ولي الصابرين. طوال اليوم لم أركز في شيء؛ حتى أنني لم أكمل عملي وتركته لصديقتي لارا وذهبت إلى المنزل مبكرًا.

لم أتوقف عن التفكير لحظة، أخبرت والديَّ أنني أشعر بصداع وإرهاق؛ لذلك عدت اليوم مبكرًا ودخلت غرفتي لأرتاح، ولم أتناول الغداء معهما، فقط أفكر ماذا أفعل؟ فأنا منذ انفصالي عن كمال اتخذتُ قرارًا أن لا أفكر في موضوع الزواج مرة أخرى؛ حيث عدت لتفكيري في السابق قبل الزواج من كمال، ولكن لماذا لم أخبر أحمد بقراري هذا؟ لمَ لمْ أجِبه بأي شيء وتهربت من مواجهته؟ هل يمكن أن أعيد تفكيري في هذا الموضوع أم أنني أحب أحمد ولا أريد أن أرفضه؟ فأحمد يختلف تمامًا عن كمال ومحمود.

لا أعلم شيئًا، توجد ضوضاء في عقلي ولا أستطيع التفكير. ماذا أفعل عندما يطلب مني الخروج معه مرة أخرى؟ وهل سأذهب غدًا للعمل أم لا؟ فلا أريد مواجهته، لا أعرف ما أقول له ولا أعلم شيئًا، أريد أن تنتهي تلك الضوضاء التي

بعقلي، أريد أن أكف عن التفكير ولكن عقلي يأبى ذلك.

لم أنم طوال اليوم إلا ساعتين فقط، فقد غلبني النوم من كثرة التفكير. ذهبت للعمل وأنا أنوي إنهاء الموضوع فأنا لا أضعف أمام أي شخص أيًّا كان. جاء أحمد إلى مكتبي كما توقعت وقال لي:

ها، هنتغدا سوا النهاردا بقى؟

ماشي، بس مش هنتأخر، هتقول الكلمتين اللي عندك بسرعة.

أحمد بفرح:

حاضر، ماتقلقيش، فيه مطعم كويس على بعد ربع ساعة من المستشفى، إيه رأيك؟

تمام، أي حاجة.

تحبي أعدي عليكِ نروح سوا؟

لا، أنا هاخلص شغل وهطلع على هناك.

تمام، زي ما تحبي. أراكِ على الغداء يا عزيزتي.

إن شاء الله.

أنهيت عملي ولا أريد الذهاب، فكنت أفكر أن أتحدث إليه وألغي ميعادنا وفي آخر لحظة تراجعت؛ فإذا أُلغِيَ اليوم سيُصِرُّ أن يقابلني في يوم آخر، فلا مفر سأذهب لأنهي ذلك الموضوع تمامًا.

ذهبت وأنا أتقدم خَطوة وأتراجع ألفَ خطوةٍ، لم أكن مرتبكةً هكذا عندما قابلت محمود بالمقهى، فارتباكي اليوم أضعاف مضاعفة مقارنة بما كنت أشعر به مع محمود.

دخلت للمطعم فوجدته في نتظاري، واستقبلني قائلًا:

اتأخرتِ ليه؟ كنت خايف ترجعي في كلامك وماتجيش.

أنا فعلًا كنت هعمل كدا، بس في آخر لحظة تراجعت، قلت أشوفك عايز إيه علشان تبطل زن عليَّ.

الحمد لله إنك تراجعتِ، أنت عارفاني مجنون كنت ممكن أجي لك البيت وأطلب إيدك كدا خبط لزق كدا.

مجنون وتعملها، انجز بقى مش عايزة أتأخر.

بحبك يا ستي، بحبك ومش شايف غيرك، من أول يوم شوفتك فيه عند محمود في المستشفى وأنتِ مش بتروحي من دماغي خالص، بفكر فيكِ طول الوقت. في الأول لما كنت بسمع عنك قبل ما أشوفك، وأد إيه محمود مبسوط من شغلك، وعن سيرتك الطيبة، والأباء كلهم بيحبوكي وأولادهم بيموتوا فيكِ، وكل اللي بيتعامل معاك مش بيبقى عايز يسيبك؛ كل الكلام دا خلاني أعجب بيكي من غير ما أشوفك، ولما شوفتك بقى تعلقي بيكي زاد أكتر، لدرجة كنت خايف تاخدي بالك علشان كنت بزور محمود كتير علشان أشوفك، ولما عرضت عليكِ تشتغلي معايا كنت هموت وتوافقي، ولما وافقتِ كنت طاير من الفرحة بجد؛ علشان هشوفك كل يوم. كل يوم بيعدي بتعلق بيكي أكتر. بصي إحنا مش صغيرين ونقدر نفرق بين الحب الحقيقي والحب المزيف، وأنا صارحتك لما تأكدت إني

مش هقدر أستغنى عنك، وأنا يا ستي أعزب من يومي لحد ما شوفتك، قبل كدا كنت مهتم أكتر بشغلي واسمي، وكنت واخد قرار كدا إني مش هتجوز والسلام علشان أخلف وأعمل أسرة والكلام دا، ودا من كتر المشاكل وكمية الطلاق اللي شوفتها في حياتي، من جواز الصالونات والناس اللي بتتجوز والسلام علشان بس عايزة يبقى اسمها اتجوزت ومافاتهاش قطر الجواز والأفكار المتخلفة دي. وقتها عاهدت نفسي إني مش هاخد الخطوة دي غير لما ألاقي الإنسانة اللي أحبها بجد وأكون أنا اللي عايزها، اللي أقول هي دي اللي عايز أكمل باقي حياتي معاها وأجيب منها ولاد ، وأنتِ الإنسانة دي يا حياة.. تسمحي لي تبقي مراتي وأم عيالي؟

كنت أسمعه وأنا لا أعرف بمَ أجِيبُه بعد كل هذا الكلام الجميل الذي لم أسمعه من قبل، كل هذا كان يُخبئه بداخله، وتشابه أفكارنا كان يجذبني دومًا له .

خرجت من صمتي وقلت:

بس أنا ارتبطت قبل كدا.

فقاطعني أحمد وقال:

عارف ومش عايز أعرف حاجة فاتت، لا يهمني ارتبطي أو لأ، المهم إنك دلوقتي مش مرتبطة.

ومش عايز تعرف سبب الإنفصال.

لا مش عايز، مش هيغير حاجة، مهما يكون هفضل بحبك وعايزك.

طيب هتكلم عن نفسي زي ما أنت اتكلمت عن نفسك، أظن دا عايز تسمعه.

جدًا يعني، كلي آذان صاغية، اتفضلي سمعك يا جميل.

حياة بعد تهنيده طويلة:

أنا بقي كنت واخدة قرار قريب من قرارك شوية، يعني مش بحب جواز الصالونات والتفكير الرجعي عن الجواز، بس قراري بقى إني مش هتجوز خالص.. وكنت فعلا برفض أي حد يتقدم من غير ما أقعد معاه حتى؛ لأني رافضة الفكرة من الأساس، لحد ما في يوم اتقدم لي كمال رفضته برده، بس بابا ربنا يسامحه أصر على الجوازة وتعب وحياته كانت في خطر؛ فاضطريت أوافق واتجوزت بسرعة، ماكملناش شهر تقريبًا وطبعًا زي ما كنت متوقعة، جوازة فاشلة وانفصلت عنه ورجعت تاني لقرار إني مش هرتبط تاني، وكنت جاية النهاردا علشان أبلغك بيه. أنا آسفة يا أحمد، أنت شخص جميل ومش هتتعوض وحلم أي بنت، بس أنا مش حمل ارتباط تاني، أنا مرتاحة كدا أكتر وعايزة أكمل حياتي كدا.

ماتحكميش عليَّ بالإعدام يا حياة، اديني فرصة أثبت لك إني غير كمال واللي زيه، إحنا متفاهمين جدًا وتقريبًا تفكيرنا متشابه وتصرفاتنا واهتمامتنا واحدة، يعني متفاهمين وهنكون زوجين متفاهمين جدًا.

جايز اللي بتقوله صحيح، بس أنا بقول لك دا قراري وأنا واخداه من قبل ما أعرفك.

اديني فرصة واحدة بس ومش هتندمي.

أنا اتأخرت أوي ولازم أمشي، بعد إذنك.

طب استني أوصلك.

لأ شكرًا هاخد تاكسي.

ثم أخذتُ حقيبتي وخرجت. ظل يحاول الاتصال بي ولم أجِبه، ثم استسلمت في النهاية وأجبته وأخبرته أنني أحتاج لعطلة من العمل حتى أفكر. فرح بشدة؛ حيث وجد أمل في موافقتي.

دخلت أمي غرفتي لترى ما بي، فلاحظت عليَّ التغيير فلم أعد أتحدث وأضحك معهم مثل عادتي، فأخبرتها بكل شيء؛ فلا أستطيع التحمل بمفردي. كنت أود أن يشاركني أحد التفكير، فقد تغيرت أمي كثيرًا في معاملتي بعد انفصالي عن كمال وأصبحت صديقتي، فقالت:

اللي فهمته إنه بيحبك وإنك أنت كمان بتحبيه.

بحبه لا! بحبه إيه بس، أنا قلت كدا!

بس عينيكِ قالت كل حاجة، بصي هجيب لك من الآخر، الحل الوحيد هي الاستخارة، وشوفي بعدها قلبك مايل لإيه، أما عن رأيي فأنا شايفه إنه يستحق فرصة، ما صدقنا حد يدخل عقلك وقلبك، وبتقولي نفس تفكيرك يعني في تفاهم بينكم وهيعرف يتعامل مع جنانك.

فضحكت وقلت:

لا دا مجنون أكتر مني.

فضحكت أمي وقالت:

شوفتي عاجبك جنانه إزاي، عينيكِ ونبرة صوتك فضحينك على فكرة، ربنا يسعدك يا حبيبتي.

شعرت براحةٍ كبيرة بعد أن تكلمت مع أمي وأنا أسأل نفسي: لماذا لم أفعل ذلك من قبل وكنت أكتم كلَّ شيءٍ بداخلي ويحترق قلبي فلم أجد أحدًا يفهمني ويخاف عليَّ مثل أمي، لا حرمني الله منها.

لم أفكر كثيرًا في كلام أمي، فقمت وتوضأت وصليت الاستخارة، ونمت نومًا عميقًا دون التفكير مثل عادتي اليومية قبل النوم. استيقظت صباحًا وذهبت إلى العمل مباشرة. علم أحمد بعودتي للعمل فكان جميع العاملين في المستشفى يهنئونني بعودتي إلى العمل، يتمنون لي دوام الصحة والعافية.

جاء أحمد على الفور وقال:

حمدًا لله على السلامة، إيه الأخبار طمنيني؟ فضَّلت إني أسيبك براحتك؛ لأني مش حابب تفهمي إني بضايقك أو بأثر عليكِ، إيه بقى فكرتِ؟

أنت على طول مستعجل كدا؟ وبعدين مش هينفع نتكلم هنا ولا أنت بقى مش عايز تعزمني على الغدا النهاردا؟!

ضحكة مليئة بالأمل والسعادة خرجت من أحمد مع ابتسامة عريضة، وقال:

لا طبعًا دا غداء وعشاء، هو أنا أطول يا فندم، بس هتاكلي بقى مش زي المرة اللي فاتت وتخلعي بدري.

لا تقلق يا سيدي، تقل جيبك أنت بس.

تقلان يا باشا ماتقلقش، أشوفك على خير بعد الشغل.

إن شاء الله.

الفصل التاسع

أنجزت عملي على أكمل وجه، وانتهى وقت العمل وخرجت لأقابل أحمد في المطعم، كنت أذهب بثقة دون خوف أو تردد مثل المرة السابقة، فوجدته في أنتظاري هذة المرة أيضًا، وما أن جلست أمامه قلت له:

أنت بتيجي امتى؟ بتسيبني الصبح وتيجي على طول ولا إيه؟

ضحك وقال:

يعني حاجة زي كدا، باجي قبل ميعادك بساعة علشان لو طلعتِ بدري.

ياه! ساعة!

وابتسمتُ وأنا أقول:

مش هتطلب الغداء ولا بتضحك عليَّ ومش هتغديني.

ثانية والغداء يبقى عندك يا جميل.

بعد أن طلبنا الغداء نظر إليَّ وهو يقول:

ها انطقي بقى قلبي هيقف!

ضحكت وقلت:

بص يا أحمد، خلينا متفقين من الأول سواء القرار كان بالموافقة أو الرفض مش هتزعل.

أحمد بحزن وقلق:

أكيد اتفضلي أنا سامعك.

لا اوعدني الأول.

أحمد بحزن شديد:

خلاص يا حياة أنت مش محتاجة تقولي أنا فهمت.

لأ، أنت مش بتفهم أصلًا علشان أنا موافقة أديك فرصة.

فقام أحمد من مكانه وتحوَّلت نبرة الحزن الشديد لنبرة فرح شديد ودهشة على وجهه وقال:

أنتِ بتقولي إيه؟ بجد! أنت بتتكلمي جد يعني؟! نشفتي ريقي حرام عليكِ، بعد ما كان عندي أمل أخدتيه ورجعتيه تاني، دا أنت مجنونة بصحيح.

مش أجن منك، أقعد بقى مش هنفرج الناس علينا وإلا هقوم أمشي وتنسي كل كلمة قُلتها.

لا لا لا خلاص، أهو قعدت، أنت قلتِ إيه بقى علشان ماسمعتش كويس.

ضحكتُ بخجل وقلت:

أه قصدك هقوم أمشي.

فضحك وقال:

لا اللي قبل ما أقوم أقف.

امممم... مش فاكرة.

بقى كدا! طيب مافيش غداء.

تمام، هروح أتغدا مع أهلي، سلام.

ياه عليكِ يا حياة! دا أنا بهزر.

فضحكت من قلبي فلم أضحك هكذا مع أحد طوال حياتي. فتابع أحمد:

بقول لك إيه، أنت تاخدي لي ميعاد مع أهلك في أسرع وقت، بكرة بالكتير، ولا تحبي أروح معاكِ دلوقتي بالمرة؟ أنا بقول أروح معاكِ بالمرة وخلاص لسه هنستنا لبكرة.

ضحكت من أسلوبه في الكلام؛ فذلك الأسلوب وخفة ظله هي أحد أسباب تعلقي به. فجاوبته مازحة:

طب ماتسبقني أنت أحسن إيه رأيك؟

تصدقي فكرة حلوة.

ولا أقول لك، كلمهم في التليفون أنت لسه هتروح.

يا بنت اللذينة، كانت تايهة عني فين دي، طب هاتي الرقم كدا.

أنت عايز تجنني ولا تعمل فيَّ إيه؟ أنت صدقت لا أنت أكيد بتستفزني.

هستفزك ليه! أنا فعلًا مستعجل.

مستعجل ليه؟

خايف ترجعي في كلامك.

ضحكت وقلت:

لأ مش هرجع، بس استنى لما أفاتحهم أنا الأول في الموضوع وبعدين أحدد ميعاد مع بابا وأبلغك.

ماشي بس بكرة أقصي ميعاد، متفقين؟

أقصى ميعاد إيه؟ على أساس ينفع تيجي قبل بكرة! بقول لك إيه أنا متلصمة مش حابة التسرع والتوتر والخوف دا.

لا خلاص أهو، شوفي اللي يريحك، قولي لي تعالى يا أحمد وأنا هاجي على طول، يلا ناكل بقى قبل ما الأكل يبرد.

أيوة كدا ماشي يالا.

عقبال ما ناكل في بيتنا إن شاء الله.

فأكلت في خجل بعد جملته الأخيرة، دائمًا يقول كلمات تخجلني، فهو لن يتوقف عن هذا الأسلوب أعلم ذلك، أعانني الله عليه.

انتهت المقابلة، فلم يكُف أحمد عن إضحاكي لحظة واحدة وكان الأكل شهيًا حقًا، فذلك المطعم ممتاز. اقترح أحمد أن نأتي إليه مرة أخرى لتجربة نوع آخر من الطعام، وأنا وافقته الرأي.

ذهبت إلى البيت بسعادة بالغة، أشعر أن قلبي ليس بموضعه، بل يتراقص من السعادة، فقد نسيت قراري السابق. ماذا فعل بي أحمد؟ وما هذا الشعور الذي أشعر به؟ هل هو الحب كما يقولون؟

لم أتخيل ذات مرة أنني سأتذوق حلاوته، حقًا إنه أفضل شعور يمكن أن يشعر به المرء في حياته. لا تعلم ماذا يحدث حولك، فقط تعلم أنك تشعر بالانتماء إلى ذلك الشخص، تريد رؤيته دومًا، والتحدث إليه طوال الوقت، تريد معرفة أخباره وتفاصيل حياته، مؤازرته في أوقاته الصعبة قبل الحسنة، تريده أن يكون بجانبك طوال الوقت تسعد لسعادته وتحزن لحزنه وتتألم لألمه. بإختصار فالحب من وجهه نظري هو: «أن يصبح الشخصين شخصًا واحدًا»، كل شيء يتشاركون به. مشاكله تصبح مشاكلها، وسعادته من سعادتها والعكس صحيح. يوجد بينهم مودة ورحمة، هكذا هو الحب والزواج، وما دون ذلك ما هو إلا شبيه بالحب أو حب زائف يخدعون أنفسهم به.

لاحظت أمي سعادتي، ففهمت كل شيء، فغمزت لي بعينيها الجميلتين وقالت:

هحصلك على أوضتك تكوني غيرتي هدومك علشان تحكي لي كل حاجة.

دا شيء أساسي يا جميل.

أخذت كلمة جميل من أحمد؛ فدائمًا يناديني بها، يلازمني كلامه منه دون أن أشعر.

سألت أمي:

هو بابا فين؟

بابا اتغدا ونام، وأنا قاعدة مستنياكِ علشان تطمنيني عملتِ إيه، يلا غيري هدومك بسرعة.

طبعت قبلة على وجنتي أمي وقلت: حالًا يا جميل.

بالفعل دخلت وبدلت ملابسي، لم تتأخر أمي وجاءت على الفور، فهي تريد أن تعلم ما حدث بيننا ولا تستطيع الانتظار أكثر من ذلك، فكانت تنظر إلي بحب وسعادة، يبدو أنها توقعت ما صار عندما رأت السعادة تخرج من عيني.

أخبرت أمي بكلِّ شيء وكل كلمة صارت بيننا، ومع كل كلمة تخرج مني تزداد ابتسامتها في الاتساع وتلمع عيناها، فكانت دومًا تحلم بذلك الوقت الذي أجد فيه شريك حياتي ثم آتي إليها لأخبرها.

فجاء أحمد في وقت غريب بعدما فقدت أمي الأمل أن أفكر في الزواج مرة أخرى، جاء أحمد ليعيد لها الأمل ويعيد لي السعادة. كم هو جميل ذلك الشخص الذي يسعد جميع من حوله دون أن يشعر!

سعدت أمي بكلامي وكادت تطلق الزعاريد لكنني منعتها في الوقت المناسب.

فخرجت لتخبر أبي بكل شيء، فلم تستطيع انتظاره عندما يستيقظ، بل أيقظته وأخبرته علي الفور.

استيقظ أبي وعلى وجهه أثر الخوف والفزع وقال: فيه إيه يا أم حياة؟ إيه اللي حصل؟ بتصحيني ليه.

فأخبرته على الفور فلم يُصَدِّقْ ما يسمعه، هل هذا صحيح أم إنها خدعة؟ حياة توافق على عريس أيعقل؟! هل ستقوم القيامة قريبًا أم ماذا! حقًا إنها معجزة لو لا أحمد ما كانت لتحدث أبدًا. فأحمد غيَّرَ كلَّ شيءٍ بداخلي وفي وقت قصير.

جاء أبي لغرفتي وهو ما زال لا يصدق، قال لي مندهشًا:

اللي بتقوله والدتك دا بجد؟!

حياة في خجل:

أيوة بجد، أنت إيه رأيك؟

رأيي إيه! هي دي فيها رأيي، موافق طبعًا، قولي له يجي فأي وقت حتى لو دلوقتي.

للدرجة دي ما صدقت وعايز تخلص مني؟ هو أصلًا نفسه يجي دلوقتي بس أنا قلت له مش هينفع غير لما أقول لك وأحدد ميعاد معاك، بكرة كويس إيه رأيك؟

آه تمام كويس.

وابتسم وهو ينظر إليَّ وقال:

أخيرا يا حياة! ياه يا بنتي.. ربنا يسعدك يا حبيبتي.

ابتسمت وقلت:

يا رب يا بابا ويخليك ليَّ يا رب، كل شيء بميعاد.

عندك حق الحمد لله.

حدثني أحمد في الهاتف قائلًا:

ها قلتِ لي بقى أجي بكرة الساعة كام؟

ابتسمت وقلت:

أنا قلت بكرة!

ما أنا هاجي بكرة يعني هاجي بكرة.

أنت مصمم يعني؟ ماشي زي بعضه تشرف فأي وقت يا دكتور، ممكن على المغرب كدا.

ربنا يخليكِ، تمام حلو أوي.. هشوفك الصبح؟

آه إن شاء الله هاجي الشغل عادي.

تمام عايزة حاجة يا جميل؟

شكرًا مع السلامة.

أغلقتُ الهاتف وأنا أبتسم، لا أعرف ما نوع هذه الابتسامة التي تأتي عندما نرى من نحب أو نتحدث إليهم، وأيضًا عند تذكرهم. ابتسامة بلهاء تحمل الكثير من المعاني؛ سعادة، وحب، وفرح، وأشياء أخرى يصعب وصفها.

استغرقت في النوم هذه الليلة خِلاف الليالي الماضية، كان القلق والتوتر يسيطران عليَّ.

أتعلم عندما لا تحمل همًا ولا حزنًا بداخلك، وتنسى كل آلامك، وتشعر بسعادة بالغة، وتود أن يأتي الغد بسرعة ليقينك بأنه أجمل من اليوم؟ في هذه الحالة تنام وتستغرق في نومك ولا تشعر بشيء سوى راحة البال والطمأنينة، وتستيقظ نشيطًا تمتلك حيوية تكفي العالم بأكمله. هذا كان شعوري ليلتها، شعورٌ جديدٌ بالنسبة لي أرجو أن لا أشعر إلا به طوال حياتي القادمة.

أؤمن بأن القادم أفضل، وأعلم أن عوض الله يقترب مني ويتمثَّل في أحمد.

ذهبتُ إلى العملِ بكامل نشاطي وحيويَّتي، أنجزت العمل على أجمل وجه كعادتي، مع حبٍّ أكثر وسعادة أكبر، أوزعهم على جميع من أقابله اليوم.

لاحظت صديقتي لارا سعادتي غير المعتادة، وسألتني إذا كان هناك ما يفرح؛ فأخبرتها بأن أحمد سيتقدم لخطبتي اليوم، فرحت لي وتمنت لنا السعادة معًا، وقالت:

- الله بقى، ألف مبروك يا حبيبتي! أيوة كدا خلينا نفرح، دا أنا هجهز نفسي للفرح من دلوقت.

- حبيبتي يا لارا، طبعًا أنتِ معايا من دلوقت أصلًا، مش هعتقك مشاوير بقى.

- عيوني لك يا حياة القلب.

- حبيبتي، تسلم لي عيونك يا رب.

لم يمر اليوم دون أن يأتي أحمد لمكتبي كعادته، كنت أنتظره لكنه تأخر اليوم عن المعتاد، قال أحمد:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام. إيه يا أحمد؟ دا أنا كنت همشي خلاص. اتأخرت النهاردا يعني، ما شفتكش الصبح.

- آه، كنت مشغول معلش. إيه دا، وحشتك، صح؟

حياة بخجل وارتباك:

- إيه؟ لا، لا، وحشتني إيه؟ ما أنا كنت شايفاك امبارح، أنا بس بطمن علشان متعود تعدي عليَّ كل يوم.

- آه آه، عينيكِ فضحاكِ على فكرة.

- أنت اللي مصمم تشوف اللي أنت عايزه.

- ماشي يا ستي، مش هخلص منك.

- نعم؟ أنت عايز تخلص مني؟!

- أوبا، أنتِ منهم؟

حياة بعد ضحكة طويلة:

- لا ما تخافش، بس حبيت أعملها فيك. لو منهم هتخلع يعني؟

- لا، أخلع إيه؟ أنتِ قدري ونصيبي، ومش هقدر أخلع منك يا جميل.

ابتسمتُ له و لم أرد فتابع:

- عندي متابعة على الدور الأخير، النهاردا الشغل كتير أوي، بس حاسس بنشاط فظيع! بركاتك يا شيخة حياة.

- أنا كمان حاسَّة بنشاط النهاردا غير العادي.

- لا دا بقى يبقى بركاتي أنا؛ مش بقول لك وحشتك.

- اتفضل روح شوف شغلك، وأنا همشي يلا.

- طيب بالراحة، ما تزوقيش، هو مين بيشتغل عند التاني، مش فاهم أنا.

ضحكت من أسلوبه و حركاته المجنونة، فتابع هو:

- تحبي أوصلك؟

- مجنون رسمي بجد! توصلني إيه، والمتابعة بتاعتك؟

- آه صح، ما أنا عارف إنك هترفضي أصلًا.

- آه، يعني عزومة مراكبية.

- آه فعلًا، بلاش تصدقني تاني بقى.

ضحكت وقلت:

- تمام اتفقنا، أنا همشي بقى. ما تتأخرش النهاردا.

- لا، ممكن مش هقدر آجي أو تروح عليَّ نومة، مش ضامن بصراحة. ماتأخرش إيه يا بنتي؟ دا أنا في ديلك على طول! اجهزي أنتِ بس بسرعة علشان مش عاوزِك تتفاجئي بيَّ لما أجي بدري، أديني قلت لك أهو.

ضحكت وقلت:

- ماشي، تنور في أي وقت يا عم المستعجل.

ذهب أحمد لإتمام عمله وذهبت أنا إلى البيت. أودُّ أنْ أُجهزَّ كلَّ شيءٍ سريعًا لأكون جاهزة إذا جاء أحمد قبل موعده مثلما قال، أعلم أنه مجنون ويفعلها. بينما كنت أرتب حالي تذكرت المرة السابقة، كيف كانت؛ فالحال تبدل مئة وثمانين درجة، كنت أبكي في ذلك اليوم وصار بيني وبين أبي مشاجرات، ومرض أبي وفقد وعيه وكانت حياته في خطر؛ فاستسلمت للأمر ووافقت على شيء لا أريده.

أما اليوم على النقيض تمامًا؛ أنا أجهز كل شيء بنفسي وأجهز حالي وأساعد أمي. غريبة هذه الحياة؛ فالموقف ذاته يتكرر ولكن بشعور وإحساس مختلفين.

كنت في كامل استعدادي للمقابلة، أحسب الوقت بالدقيقة وأنتظره بفارغ الصبر،

ارتديت فستانًا جديدًا اشتريته اليوم بعد انتهاء العمل.

دقَّ جرس الباب وانخلع قلبي معه، مليون إحساس شعرت بهم معًا؛ خوف وقلق وتوتر مع فرحة وسعادة وحب، عكس المرة السابقة كان شعورًا بالحزن والتوتر فقط.

دخل أحمد مع والديه، رحب بهم أبي وأمي، أما أنا فأنظر إليهم من بعيد، أراقبهم في صمت مع ابتسامة عريضة وعيون لامعة تنظر إليهم في حب وتقول: «هذا عوض الله لي؛ فالحمد لله دائمًا و أبدًا».

دخلت أمي لتحضر العصير الذي سأقوم بتقديمه عند خروجي لهم، بالفعل خرجت وقدمت لهم العصير وسلمت عليهم، وكانت نظرات أحمد تخجلني؛ فلم يكف عن النظر إليّ عكس كمال الذي لم ينظر إليّ إلا نظرة واحدة.

والد أحمد شخصٌ وقورٌ ومهذبٌ، يعمل أيضًا كطبيب، ولديه مستشفى خاص به، ووالدة أحمد طبيبة أيضًا، وتعمل مع والده بالمستشفى الخاص به، إنها عائلة طبية مئة بالمئة. كانت المرة الأولى لمقابلتي بهم، يبدو أن أحمد اكتسب منهم الكثير، اكتسب العلم والمهنة، وخفة الظل، والجمال ونعومة الشعر، وأيضًا أخذ من والده الجسم الطويل ذا العضلات الرياضية، واكتسب منهما الحكمة والعقل؛ فأحمد بنى نفسه بنفسه، وأنشأ المستشفى من ماله الخاص، فسافر للعمل خارج البلاد لمدة سنوات قليلة، ثم أتى وبنى تلك المستشفى الجميلة.

أحمد يكبرني بخمسِ سنواتٍ، فأنا في أواخر عامي السادس والعشرين وهو في أواخر عامِه الواحد والثلاثين.

قام والد أحمد بطلب يدي لابنه من أبي وأجاب أبي بالموافقة، أطلقت أمي ووالدة أحمد الدكتورة نادية الزغاريد، ثم جاءت أمي بالشربات، فغمز لي أحمد؛ فزداد خجلي أكثر وأكثر، فهو لم يكف عن تلك الأفعال أبدًا وكأنه يتلذذ بخجلي.

اتفق الأباء على إتمام الخطوبة الأسبوع القادم في بيتنا وبعدها بشهر أو شهرين سيقام الزفاف ثم قرأنا الفاتحة.

مر اليوم بسلام، فكان من أفضل أيام حياتي على الإطلاق، والأفضل هو رؤيتي الفرحة الحقيقة في عيون أبي وأمي؛ فالحمد على هذه اللحظة.

ذهبت في اليوم التالي إلى العمل، باركت لي لارا وسألتني عن تفاصيل ليلة أمس، فحكيتُ لها ما حدث بالتفصيل. وقام أحمد بتوزيع الحلوى والشربات على جميع من يعمل بالمستشفى، وأعلن ارتباطنا، ودعى الأصدقاء المقربين على خطبتنا وأنا دعوت لارا وبعضًا من الأشخاص المقربين لي بالعمل.

مرت الأيام سريعًا وجاء موعد خطبتِنا، ارتديت فستانًا هادئًا ووردِيَّ اللونِ، فقد اشتريته منذ يومين أنا ولارا، فكان كل شيء على ما يرام. ألبسني أحمد الذهب الذي قمنا باختياره سويا منذ أربعة أيام. كان كل شيء مثلما كنت أحلم.

أما أحمد كعادته لم يكف عن إضحاكي طوال الوقت. صارت الصداقة قوية بين أمي ودكتورة نادية، وبين أبي ودكتور أنور والد أحمد. كانت تلك الصداقة تجعلني مطمئنة بأنني اخترت الشخص المناسب والعائلة المناسبة.

في اليوم التالي مباشرة، نزلنا أنا وأمي مع أحمد لنرى بيتنا الجديد، إنها ڤيلا صغيرة اشتراها أحمد لأنني قد أخبرته ذات مرة أنني أخاف البيوت الكبيرة ولا

أشعر فيها بالأمان والانتماء؛ فقام بشراء واحده صغيرة تكفي عائلتنا الصغيرة. أعجبتنا كثيرًا، فكان تصميمها في غاية الروعة.

بعد مرور أسبوع آخر جاء مهندس الديكور ليصمم لنا أجمل التصاميم، فكنت أجلس معه وأختار كل شيء بسعادة، وتم إنجاز الڤيلا في شهر واحد فقط. ذهبت لرؤيتها بهد انتهاء العمل بها فكانت أكثر من رائعة. لم أتوقع أنها ستكون بهذا الجمال وجاء العفش بعد أسبوع آخر، هكذا كل شيء صار جاهزًا، فذهبنا لحجز قاعة الزفاف وكان تاريخ الحجز بعد أسبوعين من اليوم، وبعد الحجز خرجنا لنجلس في مكان نتناول فيه طعام العشاء سويا، وأثناء جِلستنا أردت أن أخبر أحمد بقصتي مع كمال؛ لأنه يجب أن يعرف عني كل شيء. قلت له:

أحمد أنت لحد دلوقتي ماسألتنيش عن سبب انفصالي.

ما أنا قلت لك مش مهم أعرف، دا ماضي خلاص، ليه بتفتحي الموضوع دا تاني؟

بس أنا حابة أقول لك كل حاجه عني.

خلاص لو دا هيريح قولي.

قلت له كل شيء صار من أول أن قابلت عم جمال وكمال أنا وأبي في الشارع إلى أن أرسل لي كمال ورقة الطلاق، وقلت له أيضًا عن محمود؛ أردت أن لا أخفي شيئا عنه.

استغرب أحمد كثيرا بما سمعه، فقال:

أنت القصة دي حصلت لك بجد ولا دا فيلم و بتحوري عليَّ بيه؟

لا حصل بجد، هي حاجة غريبة فعلا، بس حصلت. أنت أول حد في حياتي يا أحمد.

وآخر حد يا روح أحمد. بس هو إزاي عمل كدا الحيوان دا؟ كمال دا غبي جدًا، إزاي يضيعك من إيده! بس عارفة أحسن علشان تكوني من نصيبي أنا.. أنا كنت حاسس إن فيه حاجة جوه محمود ليكي، بس اللي كان مطمني إنك مش بتحبيه كان باين عليكِ.

باين إزاي؟!

من النظرات، نظراتك ليه غير نظراته ليكي.

على فكرة محمود ماحبنيش، أنا بس كنت صعبانة عليه مش أكتر.

جايز برده.

****

الفصل العاشر

مرت الأيام سريعًا، وجاء يوم الزفاف. طوال اليوم أجلس مع أبي وأمي أودعهم؛ لأنني أشتاق إليهم كثيرًا من الآن. ثم جاءت لارا ومعها خبيرة التجميل.

انتهينا من كل شيء وارتديت فستاني الجميل الذي اخترته أنا ولارا من مجلة عالمية، وجاء عن طريق شركة الشحن. كان الفستان مميزًا ويختلف عن الفستان الذي ارتديته في المرة السابقة، فهذا أجمل بكثير.

فوجئت بقبول سارة ومعها لارا والسيدة فاطمة دعوتي، وجاءوا لحضور زفافي، فكانت علاقتنا لم تنتهِ؛ حيث اعتدتنا الاطمئنان على بعضنا البعض من وقت لآخر. ثم رأيت عم جمال يقف مع والدي، فقد جاء هو الآخر أما كمال فلم يأتِ.

إذا أردت المقارنة بين يوم زفافي هذا ويوم زفافي مع كمال؛ فستكون مقارنة غير عادلة، فجمال ذلك اليوم يجعله أعظم من الدخول في أي مقارنة مع أي يوم آخر، فالفرق شاسع. اليوم أرقص، وأغني، وأفرح، وأضحك من كل قلبي؛ فأنا مع شخص يحبه قلبي وقلبه كذلك يحبني، أما المرة السابقة كان الحزن والصمت يسيطران علينا، لم نرقص كثيرًا ولم نغنِّ، بل لم نفعل شيئًا من الأساس يجعلنا نشعر بأنه يوم مميز. كان يومًا مميزًا حقًا، فميزة كمال في نهايته بكلماته الطاعنة.

انتهت حفلة الزفاف بغناء أحمد لي، كانت مفاجئة منه أسعدتني كثيرا. حقًا إنه أفضل يوم في حياتي.

قضينا شهر العسل في جزر المالديف، المكان غاية في الروعة والجمال مناظر، طبيعية لم أرَها من قبل، لم أتوقف عن قول: «سبحان الله»! من كثرة الأماكن المدهشه التي رأيتها بها، وعن سحر هواها المنعش فأشعر بحيوية أكثر مع كل نسمة هواء تلمسني.

تزداد سعادتي أكثر يومًا تلو الآخر، وقتها أيقنت أن ليس للسعادة مقدارٌ محددٌ، فجحمها في الحياة إلى ما لا نهاية، فالذكي من يأخذ منها كل ما يمكن.

قضينا شهرًا كاملًا نتجول حول العالم، فكل أسبوع بمكان ما، أول أسبوع (بجزر المالديف)، أما الثاني فكان (بلندن)، والثالث (بتركيا)، والرابع (بأسبانيا). كان شهر عسل حقًا كما يجب أن يكون، يفعل أحمد كل شيء يسعدني، لم يبخل بأي شيء، لم يغضبني مرة واحدة، كل يوم يثبت لي حبه أكثر من اليوم السابق.

بعد انتهاء شهر العسل وبينما نحن في الطائرة لعودتنا إلى بيتنا، أحمد قد غلبه النوم، أما أنا فكنت أنظر إليه وأفكر بداخلي: كيف تبدل حالي هكذا لا أصدق ما حدث في الفترة الأخيرة! أيعقل أن حياة تخلت عن أفكارها الخاصة بالزواج؟ تخلت عن قرارها وتزوجت وها هي الآن تعيش في سعادة عكس ما كانت تتوقع؟

الآن تزوجتُ من شخص أحبه وأعيش معه حياة سعيدة؟ لم أتوقع أنني سأحبُّ في يومٍ من الأيام.

في لحظة أيقنت ما سر هذا، إنه العوض، العوض الجميل، عوضني ربي بكل شيء صار معي في حياتي. عوضني عن كل ألم شعرت به، عن كل كلمة أغضبتني، وكل حزن، كل دمعة خرجت من عيني. عوضني عن كل أمر فعلته

غصبًا، عن كل شيء استسلمت له من أجل من إرضاء أهلي. عوضني بأحمد، فأحمد أجمل عوض يمكن أن يعوضني به ربي، الحمد لله.

كنت أعلم دائمًا أن كل شيء يحدث لسبب مهما كان حسنًا أو سيئًا، فزواجي من كمال وكل ما رأيته معه من ألم كان شيئًا لا بد منه، فهو سبب مهم لزواجي من أحمد. إذا لم أتزوج كمال؛ ما كنت التحقت بالمستشفى الخاص بمحمود ولم أقابل أحمد، فزواجي من كمال كان شيئًا لا بد منه، أي هو طريق ممهد لبدء حياتي مع أحمد، حتى ما فعله كمال بي كنت أظنه شيئًا سيئًا، ولكنه كان أحد أسباب لقائي بأحمد، فإذا كان كمال زوجًا عاديًا فكنت سأعيش معه ولم أطلب الطلاق، وبالتالي لم يكن لأحمد مكان في حياتي. بعد هذا التفكير شكرت ربي على زواجي من كمال وعلى قسوة كمال معي. شكرته على انفصالي منه وعلى رفضي الزواج من محمود. شكرته على كل شيء صعب مرَّ بي؛ فلولا الصعب ما شعرت بمتعة السعادة أبدًا.

وصلنا إلى بيتنا أخيرًا، كنت أستعد بكل طاقة لتحضير لوازم السبوع الأول، فمر اليوم على خير ولم نلتقط صورة واحدة، بل الكثير والكثير من الصور وأحمد بالطبع بجانبي ويحتضنني في كل صورة.

بعد مرور شهرين على رجوعنا من شهر العسل اكتشفت حملي، مهما أقل لكم لن أستطيع وصف شعوري في تلك اللحظة، كنت في غاية السعادة، أرقص من الفرحة في كل أركان البيت، حتى جاء أحمد وأخبرته، كانت سعادته لا تقل عن سعادتي، وفعل معي مثل ما أفعل. كنا كطفلين صغيرين لا يستطيعان السيطرة على فرحتهم.

حقًا إنها من أجمل لحظات حياتي، فكل شيء يحدث لي مع أحمد أقول: «إنه أسعد يوم في حياتي»، فأيامي الجميلة كلها معه وبسببه.

أما سعادة الأهل بالخبر كانت تفوق سعادتنا، كما تعلمون فهم ينتظرون المولود أكثر منا، فكما يقال: «أعز الولد ولد الولد». ننتظر لحظة قدوم الطفل بفارغ الصبر. وظل أحمد يُدللني أكثر وأعطاني عطلة مفتوحة من العمل.

لنشتري ملابس طفلنا سويًا، وكان أحمد يشترى الألعاب وكل لوازم الأطفال وأنا في الشهور الأولى، فهكذا أحمد دائمًا في عجلة من أمره.

مرت التسعة أشهر على خير، وها قد حان وقت قدوم طفلي. نعم طفلي، إنه قطعة مني، جزءٌ من قلبي سيكون بين يدي بعد وقِت قليل. تعلمون مدى حبي للأطفال الأغراب، فما بالكم عندما يكون ذلك الطفل قطعة من قلبي، أحبه فوق كل الحب، أحبه حبًا مُضاعفًا، أحبه أكثر من كل شيء وحتى أكثر من نفسي. شعور الأمومه يبدأ مع بداية الحمل، كم هو شعور جميل حقًا! إنه أعظم وأسمى وأصدق شعور يمكن للمرأة أن تشعر به، يفوق أي شعور آخر. أدعو الله أن لا يحرم أحد من لذة الشعور به.

كيف كنت أريد أن أحرم نفسي من ذلك الشعور وألا أتزوج! فالحمد لله الذي رزقني بأحمد في الوقت المناسب وسيرزقني بأول طفل لي.

أنتظر تلك اللحظة بفراغ الصبر، لحظة النظر إلى طفلي وهو بين يدي وفي أحضاني.

أنجبت بسلام ورزقني الله بتوأم، يا الله يا كريم! بكيت من كرمه معي. عوضني بكل شيء كنت أحلم به، بل أكثر مما كنت أتمنى، تمنيت طفل؛ فرزقني بضعف

ما تنمنيت، توأم، ولد وبنت، آدم و جنة، حياة قلب الماما.

عمَّت السعادة في العائلتين، سعادة لا توصف، فهؤلاء الصغار هما سبب سعادة عائلتين بأكملهم. كنت أنظر إليهم كل يوم في سعادة وأنا لا أصدق أنهم أطفالي! حقًا لا أصدق.

جاء موعد الاحتفال بأطفالي؛ حيث جاء كل من نعرفهم حتى سارة ولارا وأيضًا السيدة فاطمة، فرحوا لِما وجدوني عليه، فسعادتي تظهر بعيوني.

قالت لي السيدة فاطمة:

عارفة يا حياة؟ أنت زي بنتي بالظبط وربنا يعلم أنا كل ما بشوفك وبشوف عينيكِ بتلمع كدا مع أحمد بحمد ربنا إنه خلصك من كمال، عينيكِ كانت مطفية معاه.. الحمد لله يا بنتي ربنا عوضه جميل.

أوي أوي، الحمد لله. ربنا يسعد كمال مع الإنسانة اللي اختارها.

يا رب يا بنتي ويسعدك يا رب.

علمت من فترة بارتباط كمال بعد عودته لحياته الطبيعية مرة أخرى. أعلم أن كمال لم يحبني حبًا حقيقيًا؛ فلم أرَ ذلك في عينيه، هو فقط شعر بالذنب تجاهي وأراد التكفير عن ذنبه ليس أكثر من هذا، فكان عطفًا وليس حبًا. لم أندم لحظة على قرار انفصالي منه، بل أشكر ربي على إتخاذ ذلك القرار؛ فإذا كنت أعطيت لكمال فرصة أخرى مثلما طلب مني فلم أكن مع أحمد الآن.

محمود أيضًا لم يحبني، هو فقط أرد أن يصلح ما أفسده صديقه، أراد أن يعوضني فكانت شفقة منه وليس حبًا، فأنا لم أرَ الحبَّ الحقيقي إلا بعيون أحمد،

وقتها عملت أن كل ما رأيته بالعيون السابقة كان زيفًا وخداعًا ووهمًا، في ذلك الوقت ذهبت لأبي وأمي، وقلت لهم:

شكرًا على كل حاجة عملتوها علشاني. شكرًا علشان جوزتوني كمال غصب. شكرًا علشان وقفتم جنبي وطلقتوني منه. شكرًا علشان كنتم معايا في كل حاجة. شكرًا علشان وافقتم على أحمد. شكرًا إنكم أهلي وصحابي. شكرًا على الوحش قبل الحلو.

تفاجأوا بكلامي ولكنهم ابتسموا لي وقالوا:

العفو يا بنتي، إحنا اللي بنشكرك وبنشكر ربنا إنك بنتنا، وبنطلب من ربنا يسامحنا على أي حاجة أجبرناكِ عليها.

مرت سنة من أجمل سنين حياتي إن لم تكن أجملها، سنة كاملة مع زوجي وأطفالي، عائلتي الصغيرة. مرت علينا أيام صعبة، ولكن معهم كنت أتخطى أيَّ شيء. لا أقلق ما دام ربي معي ويدبر لي كل شيء، ومعي زوجي خير سندٍ لي في الدنيا، ومرت أيضًا أيام جميلة ورائعة عشنا فيها في سعادة بالغة.

والآن في عيد ميلادي الثامن والعشرين، وعيد ميلاد أطفالي الأول أيضًا، فقد أنجبتهم بيوم ميلادي. إنها أجمل صدفة حدثت لي على الإطلاق، يحتفل بنا أحمد في أحد الفنادق الكبرى مع جميع الأقارب والأصدقاء، وليس هذا فقط، فقد فاجأني أحمد بهدية عيد ميلادي؛ حيث قام بعمل عيادة أطفال خاصة بي! لم أستطِع وصف سعادتي وقتها؛ فخرجت مني دموع الفرحة لما يفعله أحمد لي، فجعل ربي أحمد سببًا كبيرًا لسعادتي وتحقيق أحلامي، فحقق لي حلمي الطفولي ولم يتبقَ لي حلمًا لم يتحقق بعد؛ فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أقف بجانب زوجي، وأطفالي في حضني، آدم وجنة، أغلى شيء لي في الحياة. نقف لنطفئ الشمع، أغمضت عيوني وتمنيت أن لا يحرمني ربي منهم طوال حياتي ويبارك لي بهم وبوالدينا أنا وأحمد، وأشكره على نعمته الغالية، نعمة زوجي أحمد؛ فلولا ذلك الرجل الرائع ما كان لدي هؤلاء الأطفال الرائعين أحبهم كثيرًا.

الخلاصة:

أرجو من كل شخص أن يفكر بكل شيء يحدث له في حياته، فلا يحدث شيء بدون سببًا ما.

يجب أن تتوصلوا لهذا السبب إذا لم تعلمونه اليوم فستعلمونه في الغد حتمًا ستصلون إليه.

كلما تمر بصعاب لا تحزن بل قم بحمد الله يا صديقي على تلك الصعاب، فأنت لا تشعر بالسعادة الحقيقة إلا عندما تمر بصعوبات كثيرة، فمن يعلم معنى الألم يستطيع أن يعلم معنى السعادة الحقيقة.

ليس كلُّ حبٍّ حقيقيًا، أحيانًا نشعر بمشاعر مزيفة لا نفهمها إلا بعد مرور الوقت.

ليس كل من يقول لك: «أنا أحبك» يكون صادقًا، ربما يكون مخدوعًا في مشاعرٍ مزيفة، أو شعورٍ بشفقة، أو يكون كذابًا، لذلك يجب أن نتأكد من المشاعر أولًا قبل الخوض في أي تجربة.

أتمنى أن يعلم الجميع أن الزواج ليس نهاية الحياة، وأنه لن يكون ناجحًا إلا مع الشخص المناسب؛ فلا تستعجلون بتلك الأمور، فسيرزقكم الله بما تستحقونه

ويفاجئكم بكرمه الواسع الذي لا حدود له، ويعوضكم بعوضه الكريم الذي لا مثيل له على الإطلاق، ستتدركون وقتها أن كل ما فات كان لا بد من حدوثه لقدوم ما هو خير، ودائمًا ما عند الله خير من أمانينا.

حياتنا عبارة عن مواقف تترتب على بعضها البعض، ويجب أن تحدث بالترتيب الذي رتبه الله لنا؛ فهو فقط من يعلم بالحال الأنسب والأفضل لنا.

فأنا أتذكر دائمًا قول النبي –صلى الله عليه وسلم- عن الرضا، عن سهل بن سعد قال: جاء جبريل –عليه السلام- إلى النبي –صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من أحببت فإنك مفارقة، واعمل ما شئت فإنك مجزئ به...»

وفي الحديث القدسي عن الله –جل شأنه قال تعالى: «يا ابن آدم، خلقتك للعبادة فلا تلعب وضمنت لك رزقك فلا تتعب، فإن أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك وكنت عندي محمودًا...» رضيتُ فرزقني الله رضاه، وأراح قلبي، وإذا عادت بي الحياة سأختارها كما كانت لأصل لتلك النهاية السعيدة.

وأخيرًا وليس آخرًا أحمدك ربي على كل شيء، فالحمد لله على كل النعم الصغيرة قبل الكبيرة، الحمد لله دائمًا وأبدًا، الحمد لله في الضراء قبل السراء، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله حتى يرضى، والحمد لله عندما يرضى، والحمد لله بعد الرضا.

وصدق الله إذ قال: «وبشِّر المخبتين» فالبشرى البشرى للراضين المطمئنين بقضاء الله.

****

تمت بحمد الله..